

رسالة التَّوْحِيدِ

يعنى

ترجمة كتاب « تقوية الايمان » المشهور إلى العربية

للعامة الشيخ إسماعيل بن عبد الغنى الدهلوى الشهيد

تعريب - تعليق - تقديم

أبو الحسن علي محسنى لدوي

طُبعت بطلب من

فضيلة الشيخ الكبير العلامة محمد زكريا بن يحيى الكاندهلوى

ملتزم النشر و التوزيع

المكتبة الحبيوة سهارفور (الهند)

مطبعة ندوة العلماء لکھنؤ

۱۹۷۴ - ۱۳۹۴ھ

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

كلمة المترجم

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على سيد المرسلين ،
و خاتم النبيين ، و إمام المتقين ، قائد الغر المحجلين ، محمد وآله
و صحبه الغر الميامين ، و من تبعهم باحسان إلى يوم الدين ، من
الآئمة المهديين ، و الدعاة المصلحين ، المجتهدين لهذا الدين ، الذين
لم يزالوا ينفون عنه تحريف الغالين ، وانتحال المبطلين ، و تأويل
الجاهلين ، جزاهم الله عن الاسلام والمسلمين ، أفضل ما جزى العلماء
الراشخين ، النائبين عن الأنبياء و المرسلين .

أما بعد ! فقد كنا نشعر بمسيس الحاجة منذ زمن طويل
بمطبعتي كتاب واضح المنهج ، صريح العبارة ، مشرق الديباجة ،
سهل المتناول ، ينم عن إخلاص مؤلفه ، و صدق لهجته ،
و توجع قلبه عما يرى الناس عليه في عصره من الجهل لغاية الخلق ،
و بعثة الأنبياء و الرسل أجمعين ، من إخلاص الدين لله ، وإفراد
العبادة له ، و الخوف و الرجاء منه ، و الاستغاثة به ، و التضرع
إليه ، و لما كان يرى من انتشار العقائد و العادات ، التي جاءت

الاديان السماوية لمحوها ، وأنزلت الكتب و بعثت الرسل لمحاربتها
و التخليص منها ، حتى أصبح الناس من ذلك في جاهلية جهلاء ،
و فتنة عياء ، و احتاجوا إلى دعوة صارخة سافرة إلى الدين
الخالص ، و الخفيفة السمحة .

و قد شرح الله صدر بقية السلف الشيخ محمد زكريا
الكاندهلوى فى مدينة الرسول ﷺ فى شهر ذى الحجة ١٢٩٣ هـ لنقل
كتاب « تقوية الايمان » للامام المجاهد الداعى إلى الله ، الشهيد
فى سبيل الله ، الشيخ إسماعيل بن عبد الغنى بن أحمد ولى الله بن
عبدالرحيم العمري الدهلوى « ش ١٢٤٦ هـ » ، فانه كتاب أصبح شعاراً
و علماً للدعوة إلى التوحيد ، و بيان الحق الصريح ، و قد نفع
الله به خلائق فى شبه القارة الهندية لا يحصىهم إلا من أحصى
و مل عاج و حصى البطحاء ، و قد بلغ عددهم إلى ملايين من غير
شك .

و قد صدر هذا الكتاب عن قلب جريح متقطع بمشاهدة
ما كان عليه المسلمون فى ذلك اليوم من بعد عن التعاليم الاسلامية ،
و خضوع للوثنية الهندية ، و تمسك بالعادات الجاهلية ، و قد زاد
فى تأثيره ، و قبوله دموع عين باكية على الاسلام ، و دم زكى
أريق فى سبيل إحياء هذا الدين ، وإدالته من الجاهلية ، و تأسيس

حكومة شرعية تقوم على منهاج الكتاب و السنة ، و يكون الدين كله لله .

و قد قرن رحمه الله الدعاء بالدعوة ، و الجهد بالجهاد ، و الشهادة للحق بالشهادة في الحق ، و ذلك لباب التوحيد ، و غاية الاخلاص ، و كمال الصدق ، و تمام الوفاء ، و صدق الله العظيم ، « من المؤمنين رجال صدقوا ما عاهدوا الله عليه ، فمنهم من قضى نحبه ، و منهم من ينتظر و ما بدلوا تبديلا (١) » ، فكان لكتابه من القبول و التأثير ، و الذيوع و الانتشار ، ما لا يكون إلا لكتابات كبار المخلصين ، و العلماء العاملين ، و الدعاة المجددين . و سر قوة الكتاب في صراحته و تشخيصه للأدواء ، و مظاهر الشرك ، و مواضع الانزلاق ، و أنه يضرب على وتر الحساس ، و يصيب ضعف الاعتقاد ، و ما فتن به المسلمون في العهد الأخير ، من الغلو و التقديس و التعظيم ، و تقليد الأمم الوثنية ، و العادات الجاهلية ، في صميمه ، و قد اعتاد الناس أن لا يفزعوا للوعاظ و الخطب التي تلقى على المنابر ، أو البحوث العلمية التي تتناول موضوع التوحيد و الشرك بصفة إجمالية عامة ، إذا لم تتعرض للأمراض التي يعانونها ، و الأخطاء التي يرتكبونها ، و للمعادن التي لا يمكنهم

(٢) سورة الاحزاب الآية ٢٢ .

القطام عنها ، و الأشخاص و الأماكن و الشعائر التي يغفلون فيها ،
فيتجاهلون كل ذلك ، ويتظاهرون بأن الواعظ أو الكاتب لا يعينهم ،
و إنما يعنى المشركين القدامى ، و عباد الاوثان في الجاهلية الاولى ،
أما إذا تعرض هذا الكاتب أو الواعظ لواقع حياتهم ، و وضع
يده على علمهم و أسقامهم ، و حدد مواضع قنوتهم ، لم يسعهم أن
يتغافلوا عنه ، فأعلنوا الحرب عليه ، ونادوا بعدائه ، و هذا شأن
الداعي المخلص الذي ملاكته الفكرة ، و استحوذ عليه الشعور ،
و تذوق القرآن ، و منهج الأنبياء في دعوتهم تدوقاً حقيقياً ، فانه
لا يبالى أَرْضَى الناس أم سخطوا ، إن همه الوحيد أن يبلغ رسالة
القرآن ، و يرضى ربه ، و يريح ضميره ، و يبرى ذمته .

و يحسن هنا أن أقول ما كتبت في كتابي « رجال الفكر
و الدعوة في الاسلام » ، و أنا أتكلم عن سر تأثير الامام الحسن
البصري في المجتمع الاسلامي في مستهل القرن الثاني الهجري ،
و نفوذه في القلوب و العقول ، وإن المجتمع لم يستطع أن يتجادله ،
و أن يمر به مر الكرام ، قلت : « إنه ضرب على وتر الحساس ،
و نزل في أعماق المجتمع ، و وصف أمراضه ، و انتقد انتقاد
الحكيم الرفيق ، و الناصح الشفيق ، لقد كان عصره يغص بالدعاة
و الوعاظ ، و لكن المجتمع لم يخضع خضوعه للحسن ، لأنه كان

يمس قلبه ، و ينزل في صميم الحياة ، و يمارض التيار (١) .
لذلك كله وقع اختيارنا على نقل معاني هذا الكتاب ،
و محتوياته إلى لغة الضاد في أسلوب عصري رشيق ، و تعبير سهل
سائع .

و قد طلب منا الشيخ الجليل محمد زكريا السابق ذكره ، أن
يكون بداية هذا العمل في مسجد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم ،
و قد يسر الله ذلك في سلخ ذى الحجة ١٣٩٣ هـ في ساعة مباركة
قبل زوال الشمس يوم الأربعاء ، فكتبت السطور الأولى من المقدمة
في مكان بين باب الرحمة و باب جبرئيل ، مكتظ بالحجاج الوافدين ،
و المشتغلين بالذكر و التسبيح ، و الصلاة على النبي ﷺ ، و في
جو من السكينة ، و الخشوع و الحب ، و نحمد الله على أن كانت
فاتحة هذا العمل في هذا المسجد العظيم ، الذي انبثق منه هذا النور
و انطلقت موجة التوحيد ، و الدعوة إلى الله إلى أنحاء العالم ،
فبددت الظلام ، و غمرت القلوب بفيض من الإيمان ، و نور
التوحيد ، و طهرت النفوس ، و أشرقت الأرض بنور ربها ،
و تمت نعمة الله على عباده .

و يسر الله إتمام هذا العمل ، و القيام به بقدر الطاقة في

(١) ص ٦٣ - ٦٤ مطبعة جامعة دمشق .

مدة قريية ، و أيام معدودة ، و الحمد لله الذى بعزته و جلاله
تم الصالحات .

ورأينا أن نلحق بالكتاب ترجمة مؤلفه العلامة الشيخ إسماعيل
ابن عبد الغنى بن ولى الله الدهلوى ، مقتبسة من المجلد السابع
لكتاب « نزهة الخواطر و بهجة المسامع والنواظر » للعلامة السيد
عبد الحى الحسنى ، ليطلع القارى على علو كعب المؤلف فى العلوم
الدينية ، و رسوخ قدمه فى الدين ، و حسن بلائه فى الاسلام ،
و غيرته على نقاء العقيدة و أصالتها ، و قد أجاد من قال : « إن
ترجمة المؤلف نسب الكتاب » ، ولذلك أكثر المؤلفون فى الاسلام
من تأليف كتب الطبقات والتراجم . والسير و الأخبار ، وأجادوا
فى ذلك و أفادوا ، و وضعنا عناوين جانبية للكتاب ، و تناولنا
بعض الكلمات و العادات المحيية ، و الأعلام التى تخص بالهند
بالشرح و الايضاح و التعريف ، حتى يسهل على القارى العربى
الكریم ، فهم الكتاب و التذوق به .

و نقلنا بعض المقطفات من كلام بعض أعلام هذه الأمة
وأئمتها تأييداً لبعض ما ورد فى هذا الكتاب من تعبيرات وعبارات
لم يألّفها كثير من الناس لشيوع الأساليب الاصلاحية فى العهد

الآخر ، التي تعتمد على مجازاة العواطف ، و مسaire المعروف
المألوف ، إشاراً لتوسيع الدعوة على تعميقها ، وتبليغ العقيدة على
ترسيخها ، و جلب المنفعة على دفع المضرة ، و تفادياً من وحشة
الناس ، و سخط العامة ، و لكل وجهة هو مولها .

ويعرف القارئ العربي من خلال هذا الكتاب ، وما ورد
فيه من ذكر أنواع الانحراف و الضلال ، و تقليد الأكثرية من
سكان الهند ، مدى تغل الحضارة الهندية ، و العادات الجاهلية
و التقاليد الوطنية في أحشاء المجتمع الاسلامى الهندى ، و خضوع
المسلمين فى هذه البلاد ، للفلسفة الهندية البرهمية ، و الهند — كما
يعرف المطلع على التاريخ القديم — من أعرق بلاد الله فى الوثنية
فهى فيها قديمة وأصيلة ، إذا كانت فى كثير من البلاد جديدة ودخيلة ،
و قد عجنت فلسفتها وحضارتها ، و آدابها ، و علم الفلك ، و العلوم
الرياضية ، و التقويم ، فضلا عن الديانات ، بهذه الوثنية ، فهى أرض
الآلهة والاملاهاة ، و أرض الأساطير والروايات ، و أرض الأعياد
و المواسم ، و المهرجانات و المآتم ، تذكراً لحوادث تاريخية
دينية ، و أبطال قومية خرافية ، أثر كل ذلك فى حياة المسلمين
و عاداتهم تأثيراً عميقاً ، و غم عليهم الأمر على مدى الأيام ،
و التبس الحق بالباطل بهاون الحكام و السلاطين ، و قلة انتشار

علم الحديث ، وكتب السنة الصحيحة، ورواجها في العهود الاولى ،
و شدة اختلاط المسلمين بغيرانهم في كل مدينة و قرية ، و حتى
وزقاق ، حتى قبض الله للصدع بالدعوة ، وتمييز الحق من الباطل ،
والقشور من اللباب رجالا من علماء الدين ، و الدعاة المرشدين ،
كان في مقدمتهم الامام الشيخ أحمد بن عبد الاحد السرهندي ،
و خلفاؤه ، و بعده حكيم الاسلام الشيخ ولي الله بن عبد الرحيم
الدهلوى وأسرته ، ومن تلمذ عليها من الفقهاء و المحدثين ، والعلماء
الراشخين .

وكان ذلك من أقوى الاسباب التي حملت مؤلف هذا الكتاب
- و قد نشأ في بيئة هندية خالصة ، و في مركز هذه الحضارة -
على أن يكون صريح العبارة ، قوى العارضة ، مرهف الحس في
هذا الموضوع ، لا يحتفل بالنقد و اللائمة ، و لا يبالى بسنخ
الخاصة و العامة ، و لو طالت به الحياة ، و وجد فرصة للدعوة
والبقاء في الهند ، لأخذ الأمر بالتدريج ، و مشى الهوينا ، ولكنه
كان مضطراً إلى مغادرة الهند ، وكان حادى الشوق يحدو به إلى
الجهاد ، و الشهادة في سبيل الله ، فألف هذا الكتاب إتماماً
للحجة ، و براءة للذمة ، وجعلها كلمة باقية في عقبه لعلهم يرجعون .
وليس الأمر مقصوراً على الهند التي بعدت عن مهد الاسلام

و مهبط الوحى ، و دخلها الاسلام عن طريق بلاد العجم ، و قد
 فقد الشئ الكثير من قوته وجدته ، بل تبلبلت العقيدة الاسلامية ،
 واختلطت بشئ كثير من البدع والضلالات فى العواصم الاسلامية ،
 و بلاد العرب فى القرن السابع والثامن الهجريين ، بتأثير الشعوب
 غير العربية التى دخلت فى الاسلام جديدة ، وحملت معها روااسب كثيرة
 من دياناتها وعاداتها ، واختلاط المسلمين مع غير المسلمين والعجم ،
 و نفوذ الحكومة الباطنية و الاسماعيلية فى مصر والشام وتأثيرهما ،
 و انتشار تعليمات بعض المتصوفين الجهلة ، و من قرأ كتابى شيخ
 الاسلام ابن تيمية « الرد على البكرى » و « الرد على الاخنائى » ،
 عرف الشئ الكثير من غلو الجهال فى الآثمة والمشايخ ، والاولياء
 والصالحين ، واعتقاداتهم الفاسدة ، وعاداتهم الجاهلية ، ولا يزال
 لهذا الغلو و التعظيم بغير ما أمر الله به ، و شرع ما لم يأذن به
 الله ، آثار باقية فى بلاد المسلمين والعرب ، تستوجب دعوة قوية
 صريحة ، حكيمة بليغة ، لذلك ليست فائدة هذا الكتاب محدودة فى
 الهند ، بل تعم جميع الأوساط التى استطاع الشيطان أن يتسرب
 إليها ، و انتشر فيها من العقائد والعادات ما لا يرضاها الاسلام ،
 و لا يقرها الشرع ، و لا يقبلها ضمير المسلم الواعى .
 و قد أسمينا هذه الترجمة بـ « رسالة التوحيد للعلامة الشيخ

إسماعيل الشهيد، لأن هذا الاسم أدل على مسماه، وقد تولى المؤلف
هـل كتابه الذى وضعه بالعربية، وسماه بـ «رد الاشرار» و قد
طارت العقائد بهذا الأصل العربى و فقد، و تسميتا أقرب إلى
تسميته الأصلية .

و الله نسأل أن ينفع بهذه الترجمة كما نفع بالأصل، ويشرح
هما صدور المؤمنين، و على الله قصد السبيل .

أبو الحسن على الحسنى الندوى

غرة ربيع الاول ١٣٩٤هـ

ترجمة المؤلف

الشيخ العالم الكبير ، العلامة المجاهد في سبيل الله ، الشهيد
إسماعيل بن عبد الغنى بن ولى الله بن عبد الرحيم العمرى الدملوى ،
أحد أفراد الدنيا فى الذكاء ، والفطنة ، والشهامة ، وقوة النفس ،
و الصلابة فى الدين .

ولد بدملى لاثنتى عشرة من ربيع الثانى سنة ثلاث و تسعين
و مائة و ألف ، وتوفى والده فى صباه ، قترى فى مهد عمه الشيخ
عبد القادر بن ولى الله الدملوى ، و قرأ عليه الكتب الدراسية ،
واستفاض عن عمه الشيخ رفيع الدين ، والشيخ عبد العزيز أيضاً ،
و لازمهم مدة طويلة ، وصار مجرأ زاخراً فى المعقول والمنقول ،
ثم لازم السيد الامام أحمد بن عرفان الشهيد البريلوى ، و أخذ
عنه الطريقة ، وسافر معه إلى الحرمين الشريفين سنة سبع وثلاثين
و مأتين و ألف ، لحج و زار ، و رجع معه إلى الهند ، وساح
البلاذ ، و القرى بأمره سنتين ، فانتفع به خلق لا يحصون بمجد
وعد ، ثم سافر معه إلى الحدود سنة إحدى و أربعين و مأتين
و ألف ، لمجاهد معه فى سبيل الله ، و كان كالوزير للامام ، يجهز
الجيش ، ويقتحم المعارك العظيمة بنفسه حتى استشهد فى «بالاكوت»
من أرض «ياغستان» .

و كان نادرة من نواذر الزمان ، وهدية من بدائع الحسان ،
مقبلا على الله بقلبه و قلبه ، مشغلا بالافادة ، و العبادة ، مع
تواضع وحسن أخلاق ، وكرم وعفاف ، و شهامة نفس وصلابة
دين ، و حسن محاضرة ، و قوة معارضة ، و فصاحة ورجاحة ،
فاذا جالسه منحرف الأخلاق أو من له في المسائل الدينية بعض
شقاق ، جاء من سحر بيانه بما يؤلف بين الماء و النار ، و يجمع
بين الضب و النون ، فلا يفارقه إلا وهو عنه راض ، وقد وقع
له مع أهل عصره قلاقل و زلازل ، و صار أمره أحدىة ،
و جرت فتن عديدة في حياته و بعد مماته ، و الناس قسيمان في
شأنه ، فبعض منهم مقصرون عن المقدار الذى يستحقه ، بل يريعه
بعضهم الأمور ، و بعض آخر يبالغ في وصفه ، و يتعصب له كما
يتعصب أهل القسم الأول ، وهذه قاعدة مطردة في كل من يفوق
أهل عصره في أمر .

قال الشيخ محسن بن يحيى الترمذى في «البيان الجنى» : إنه
كان أشدهم في دين الله ، و أحفظهم للسنة ، يغضب لها ، ويندب
إليها ، و يشنع على البدع و أهلها .

و قال صديق بن الحسن القنوجى في «الحطة بذكر الصالحين
السة» في ذكر الشيخ ولى الله بن عبد الرحيم الدهلوى : «إن

ابن ابنه المولوى محمد إسماعيل الشهيد ، اقتفى أثر جده فى قوله وفعله
 جميعاً ، و تتم ما ابتدأه جده ، وأدى ما كان عليه ، وبقى ما كان
 له ، و الله تعالى مجازيه على صوالح الاعمال ، وقواطع الأقوال ،
 و صحاح الأحوال ، و لم يكن ليخترع طريقاً جديداً فى الاسلام ،
 كما يزعم الجهال ، و قد قال الله تعالى : « ما كان لبشر أن يؤتيه
 الله الكتاب و الحكم و النبوة ، ثم يقول للناس كونوا عباداً لى
 من دون الله و لكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب ،
 و بما كنتم تدرسون » و هو رحمه الله تعالى أحبا
 كثيراً من السنن المماتات ، وأمات عظيماً من الأشرار ، والمحدثات ،
 حتى نال درجة الشهادة العليا ، وفاز من بين أقرانه بالقدح المعلى ،
 و بلغ منتهى أمله ، و أقصى أجله .

مصنفاته :

وأما مصنفاته فهى عديدة ، أحسنها كتابه « الصراط المستقيم »
 بالفارسى ، جمع فيه ما صرح عن شيخه السيد الامام قولا و فعلا ،
 و فيه بابان من إنشأ صاحبه الشيخ عبد الحى بن هبة الله الصديق
 البرهانوى ، ومنها « إيضاح الحق الصريح فى أحكام الميت والضرىح »
 فى بيان حقيقة السنة و البدعة ، و منها « منصب إمامة » فى تحقيق
 منصب النبوة و الامامة ، وهو مما لم يسبق إليه ، و منها رسالة له

في « مبحث إمكان النظير وامتناع النظير » كلها بالفارسية ، ومنها مختصر له بالعربي في أصول الفقه ، و منها رسالة له بالعريسة في رد الاشراك و البدع ، رتبها على بابين ، و منها « توير العيزين في إثبات رفع اليدين » بالعريية ، و منها « سلك نور » مزدوجة له بالهندية ، و منها « تقوية الايمان » كتاب مشهور له بالهندى ، وهو ترجمة الباب الأول من رسالة في « رد الاشراك » [و منها كتاب « عبقات » في الفلسفة والحكمة ، تجلى فيها ذكاؤه ، واقتداره على هذا العلم (١)] .

وقال أحمد بن محمد المتقى الدهلوى (٢) في « آثار الصناديد » :
« إن له رسالة في المنطق ، ادعى فيها أن الشكل الرابع من أجلى البدييات ، و الشكل الاول خلافه ، وأقام على ذلك الادعاء من البراهين ما لم يندفع ، ولم يجترأ على دفعها أحد من معاصريه .
والشيخ إسماعيل قتل في سبيل الله لست ليال بقين من ذى القعدة ستة ست و أربعين و مأتين وألف بمركة « بالاكوت » ، وقبره ظاهر مشهور بها (٣) .

(١) من زيادة مترجم هذا الكتاب .

(٢) هو السيد أحمد خان مؤسس الجامعة الاسلامية بملى كره الهند .

(٣) ملقطاً من (نزهة الخواطر وبهجة المسامع و التواظر) الجزء السابع للعلامة

السيد عبد الحى الحسنى البريلوى رحمه الله تعالى .

مقدمة الكتاب

خطبة الكتاب :

يا رب لك ألف ألف حمد و شكر على ما أنعمت به علينا
من نعم لا تعد و لا تحصى ، و على ما هديتنا إلى الدين القويم ،
و الصراط المستقيم ، و أرشدتنا إلى الدين الخالص ، و التوحيد
النقي ، و خرطتنا في سلك أمة نبيك و حبيبك محمد صلى الله عليه
وآله وسلم ، وبعثت فينا رغبة في تعلم هديه ، و ألهمتنا حب خلفائه
الذين يقودون إلى مسالكه ، و يهدون بالحق و به كانوا يعدلون ،
اللهم فصل و سلم على حبيبك ، و آله وأصحابه ، و خلفائه ألف
ألف صلاة و سلام ، و ارحم أتباعهم ، و أشركنا معهم ، و أحينا
على طريقهم ما عشنا ، و توفنا عليه إذا أمتنا ، و احشرنا في
زمرتهم إذا بعثتنا .

قوام العبودية تصحيح العقيدة و الايمان :

أما بعد ! فاعلموا رحمكم الله ، أن البشر كلهم عبيد لله ،

و وظيفة العبد وقيمه أن يقوم بالعبادة ، فالذى لا يقوم بالعبادة ،
و لا يؤدي وظيفته فقد ثار على فطرته ، و فقد قيمته ، و قوام
العبودية تصحيح العقيدة و الايمان ، فمن تطرق إلى عقيدته خلل ،
أو تعرض إيمانه لفساد لم تقبل منه عبادة ، و لم يصح له عمل ،
و من صحت عقيدته ، و استقام إيمانه كان القليل من عمله كثيراً ،
و من هنا وجب على كل إنسان أن لا يدخر وسعاً في تصحيح إيمانه ،
و أن يكون الحصول عليه ، و الاستيثاق منه غاية أمله ، و نهاية
سؤله ، لا يعدل به شيئاً ، ولا يتأخر فيه دقيقة .

و قد سلك الناس في هذا العصر في الدين طرائق قديماً ،
وتشعبوا شعباً ، فمنهم من يتمسك بعادات الأولين وتقاليده السابقين ،
و بعض عليها بالتواجد ، و منهم من يحتاج بحكايات الصالحين ،
و أساطير الأولين ، و منهم من ينشئ بكلام من تسمى بالعلماء ،
و امتاز بتشدد اللسان وحدة الذهن ، و منهم من يركض ركائب
العقل في هذا الميدان ، و يرخي لها العنان (١) .

و كان الأفضل الأعدل أن يرد الانسان كل ذلك إلى الله

(١) مع أن العقائد و الشرائع لا تقوم على العقل و القياس . و لا يقع فيها
النكاح و حدة الذهن ، إن مصدورها الوحي و الالهام ، و تعليلات الأنبياء
و الرسل عليهم الصلاة و السلام (المترجم) .

و رسوله ، فيصدر عما ثبت عنهما ، و يتحاكم إليه ، و يتخذه
بياناً شافياً ، و حكماً قاطعاً ، فيقبل من قصص المشايخ و الصالحين ،
و من كلام العلماء و الوعاظ و المذكرين ، ما وافق الأصول
و النصوص ، و ينبذ من الكلام و الأحاديث ، و من العادات
و التقاليد ما خالفها .

تسويات الشيطان في الصد عن القرآن :

وأما ما اشتهر في العوام أن كلام الله ورسوله من الغموض
و الدقة بمكان لا يفهمه فيه الناس ، و يحتاجون في فهمه إلى علم
غزير ، و لا قبل لنا بفهم القرآن و الحديث ، أما العمل بمقتضاه
و تطبيقه فلا ينوء به إلا خاصة الخاصة من الذين سمت همتهم ،
و تزكت نفوسهم من الزهاد و العباد ، ولا مطمع لنا في ذلك ،
و حسبنا أن نفهم كلام أمثالنا ، و نهتدي بهديهم ، و نمضي على
ما درج عليه آباؤنا ، و عامة أهل بلادنا .

فيعرف الخبير أنه كلام لا نصيب له من الصحة ، لأن
الله سبحانه و تعالى يصف كتابه المجيد بالبيان و الوضوح (١) ،

(١) . و قد جاء في سورة يوسف : « تلك آيات الكتاب المبين » و في سورة
الشعراء : « إلهان عربي مبين » و في سورة القمر : (و لقد يصرنا القرآن
لذكر فهل من مدكر) .

و لقد قال فى سورة البقرة : و لقد أَرْسَلْنَا إِلَيْكَ آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ
وَمَا يَكْفُرُ بِهَا إِلَّا الْفَاسِقُونَ (١) ، و قد ثبت من ذلك أنه لا يتعسر
فهم ما جاء فى القرآن ، و إنما يحتج بتعسره و غموضه من جمحت
نفسه ، و قسا قلبه ، فان النفوس تعاف الانقياد و تهرب من العمل
و الطاعة ، و إنما تريد أن يلقى حبلها على غاربها ، و تترك لها
حريتها و انطلاقتها .

و لا يتوقف فهم كلام الله و رسوله على علم غزير ، و ذكاء
حاد ، فان الأنبياء لم يبعثوا إلا لهداية الضلال ، و تعليم الجاهل ،
و قد قال الله تعالى فى سورة الجمعة : « هو الذى بعث فى الأميين
رسولا منهم يتلو عليهم آياته و يزكيهم و يعلمهم الكتاب و الحكمة و إن
كانوا من قبل لى ضلال مبين (٢) » ، و قد من الله بذلك على
عباده ، فمن مضى بعد ذلك يقول : إنه لا سبيل لغير العالم إلى فهم
ما جاء به النبي ، ولا طاقة لغير من سمعت همهم ، و تزكت نفوسهم
أن يعمل بتعاليمه ، و يسلك طريقه ، فقد أنكر هذه الآية ،
و كفر بهذه النعمة ، و حرى أن يقال إن القرآن يرتقى بالجهال
إلى درجة العلماء ، و الضلال إلى مستوى الصالحين و الأصفياء ،

(١) سورة البقرة الآية ٩٩ .

(٢) سورة الجمعة الآية ٢ .

فرب جاهل لا يفقه شيئاً بلغ بفهمه مبلغ العلماء الراغبين ، ورب ضال تائه استنار بنوره ، و اهتدى بهديه ، و بلغ ذروة الصلاح و الاخلاص .

أحوج الناس إلى الطبيب ، المرضى :

إن مثل ذلك كمثل طبيب حاذق ، كثر حوله المرضى ، و انتشرت في أرضه الأمراض و الأوباء ، فأشير على مريض اشتدت به العلة ، وأضناه المرض ، بالاستعانة بهذا الطبيب وغشيانه ، و لكنه تحلل بقوله : « أنا مريض ، لج بي المرض ، و إنما يأتيه وينتفع به من سلم من الأمراض ، واعتدلت صحته ، وقويت بيته ، فإذا يقول الناس عن عقل هذا الرجل و فطنته ؟ ألا يرون أنه ينكر براعة الطبيب و حذقه ، فإن الأطباء لا يعنون إلا بالمرضى ، و الطبيب الذي لا يداوى إلا الأصحاء ، و لا ينتفع بدوائه إلا الأقوياء ، أما المرضى فهم أشقى الناس بطبه و حذقه ، فلا خير في هذا الطبيب ، إنه اسم بلا معنى ، و لفظ بلا معنى .

كذلك كل من أمعن في الجهالة كانت حاجته أشد إلى تفهم كلام الله و رسوله ، و كان حرياً بأن يكون أحرص عليه من غيره ، و من كثرت ذنوبه و خطاياها ، واشتد ظلمه لنفسه ، كان أجدر بالاقبال على كتاب الله ، و هدى رسوله ، حتى يصلح

حياته ، و ينقذ نفسه ، كذلك يجب على كل طبقة من طبقات
الناس ، الخاصة منها والعامة ، أن تنفحص عن كلام الله ورسوله ،
و تفهمه ، و تسلكه في حياتها ، و تزن إيمانها و عقيدتها في
ميزانه ، و تحمكه على محكمه .

الايمان جزءان :

وليعلم أن للايمان جزئين ، الأول الايمان بالله كإله ورب ،
و الايمان بالرسول كرسول و نبي . و الايمان بالله كإله ورب ،
يعنى أن لا يشرك به أحد ، و الايمان بالرسول كرسول و نبي ،
يعنى أن لا يسلك طريق غيره ، فيجب على كل أحد أن يتمسك
بالتوحيد و اتباع السنة بقوة و عزم ، و يبتعد عن الشرك و البدعة
كل الابتعاد ، فانهما « الشرك و البدعة » يؤثران في الايمان ،
و يحدثنان خلافا فيه ، أما سائر الذنوب و المعاصى فهى تؤثر في
الأعمال ، و تحدث خلافا فيها .

من يصلح للاقتداء ١٩ :

و يجب أن لا يتخذ قدوة وإماماً إلا من رخصت قدمه في
التوحيد ، و اتباع السنة ، و كان بمعزل عن الشرك و البدعة ،
بهيداً عنهما كل البعد ، و ينتفع الناس بصحبته ، و يسرى فيهم نور
التوحيد و حب السنة .

موضوع الكتاب و نظامه :

لذلك ذكرنا في هذه الرسالة جملة من الآيات و الأحاديث ، ذات صلة قوية بالتوحيد و اتباع السنة ، و ذم الشرك و البدعة و نبذهما ، و آثرنا فيها السهولة و الوضوح ، حتى ينتفع به الخاصة و العامة بطريق سواء ، و يسلك من وفقه الله الصراط المستقيم ، و يتقرب به إلى الله من يدعو إلى ذلك ، و يكون له وسيلة إلى النجاة .

استفحال فتنة الشرك و الجهالة في الناس :

اعلم أن الشرك قد شاع في الناس في هذا الزمان وانتشر ، و أصبح التوحيد الخالص غريباً ، و لكن معظم الناس لا يعرفون معنى الشرك ، و يدعون الايمان مع أنهم قد تورطوا في الشرك و تلوثوا به ، فمن المهم قبل كل شئ أن يفقه الناس معنى الشرك و التوحيد ، و يعرفوا حكمهما في القرآن و الحديث .

مظاهر الشرك و أشكاله المتنوعة :

و من المشاهد اليوم أن كثيراً من الناس يستعينون بالمشايخ و الأنبياء ، و الأئمة (١) و الشهداء ، و الملائكة ، و الجنيات

(١) يعنى أئمة أهل البيت الذين غلت فيهم الشيعة ، وأحاطوهم بهالات —

عند الشدائد ، فينادونها ، و يهرخون بأسمائها ، ويسألون عنها قضاء
الحاجات و تحقيق المطالب ، و يندرون لها ، و يقربون لها قرابين
لتسعفهم بحاجاتهم ، و تقضى مأربهم ، وقد ينسبون إليها أبنائهم طمعاً
في رد البلاء ، فيسمى بعضهم ابنه بعبد النبي و بعضهم بعلي بنحش ،
وحسين بنحش ، وبير بنحش ، ومدار بنحش (١) ، وسالار بنحش (٢) ،

★ من التقديس والتعظيم، ويعتقدون فيهم العصمة، والاطلاع على
الغيب ، ويفسرون الامامة تفسيراً يجعلها مشاركة للنبوة ، بل
منافسة لها في كثير من الخصائص ، وقد تأثر أهل السنة بكثير
من العقائد الشيعية في الهند بتأثير الحكام والأمراء ، و حكم
الاختلاط بهم ، و الجهل بالاسلام .

(١) هو الشيخ الكبير المعمر بديع الدين المدار الحلبي المكنبوري ،
أحد مشاهير الأولياء بأرض الهند ، ينسبون إليه من الوقائع
الغريبة ما يباه العقول والنقل ، و إليه نسب شهر من شهور
السنة في التقويم المنتشر عند العامة و أهل القرى في الهند
و دخل اسمه في الأمثال السائرة عند عوام الناس ، و هو
مؤسس الطريقة المدارية التي انحرفت في العهد الأخير، ودخل
فيها الشيء الكثير من الخرافات والرياضات البهلوانية ، كانت
وفاته في عاشر جمادى الأولى سنة ٨٤٤ هـ .

(٢) هو السيد سالار مسعود الغازي من أشهر الأعلام في الهند ، *

و غلام محى الدين ، و غلام معين الدين (١) ، و يرسل بعض الناس

☆ نسجت حوله أساطير كثيرة ، و شخصيته لم يسلط عليها الضوء الكافى علياً و تاريخياً ، ذكره ابن بطوطة فى رحلته ، و قال إنه فتح أكثر تلك البلاد ، و له أخبار عجيبة ، و غزوات شهيرة ، مات شهيداً سنة ٥٨٨ هـ ، و دفن فى مدينة بهرائج فى الولاية الشمالية فى الهند ، قال فى « نزهة الخواطر » : بنى على قبره ملوك الهند عمارة سامية البناء ، و الناس يفدون إليه من بلاد شاسعة ، و يزعمون أنه كان عرباً شاباً لم يتزوج ، فزوجوه كل سنة ، و يحتفلون لعرسه و يندرون له أعلاماً فينصبونها على قبره .

(١) معنى « بخش » الهبة و الرزق ، يعنى فلان هبة فلان و رزقه ، و على هو على بن أبى طالب ، و حسين هو حسين بن على ، و « بير » معناه الشيخ ، و مدار ، و سالار ، أسماء رجال صالحين ، و مشايخ مشهورين فى الهند ، و غلام معناه عبد ، و محى الدين المراد به الامام عبد القادر الجيلانى المشهور ، و معين الدين هو الشيخ معين الدين الجشتى الاجيرى ، مؤسس الطريقة الجشتية فى الهند ، و صاحب الفضل فى انتشار الاسلام فى شبه القارة الهندية ، كانت وفاته فى سادس و جب سنة ٦٢٧ هـ . و هذه الاسماء كلها غير شرعية ، و تتم عن عقيدة فى القدرة و التصرف ، و الهبة و الرزق ، فى الاولياء و الصالحين .

ضفيرة في رأسه باسم ولى من الأولياء ، و بعضهم يقلد ابنه قلادة باسم شيخ أو ولى ، و بعضهم يكسو ولده لباساً ، و بعضهم يصفد ابنه بقيد في الرجل باسم أحد المشايخ و الأولياء ، و بعضهم يذبح حيواناً بأسمائهم ، و بعضهم يستغيث بهم عند الشدة ، و بعضهم يحلف في حديثه بأسمائهم .

تقليد جهال المسلمين للمشركين القدامى :

و الحاصل أنه ماسلك عباد الأوثان في الهند طريقاً مع آلهتهم ، إلا و سلكه الأدعياء من المسلمين مع الأنبياء و الأولياء ، و الأئمة و الشهداء و الملائكة و الجنيات ، و اتبعوا سنن جيرانهم من المشركين شبراً بشبر ، و ذراعاً بذراع ، و حذو القذة بالقذة ، و النعل بالنعل ، فما أجراهم على الله ، و ما أبعد الشقة بين الاسم و المسمى ، و الحقيقة و الدعوى .

و صدق الله العظيم ، إذ قال في سورة يوسف : « وما يؤمن أكثرهم بالله إلا وهم مشركون (١) » ، فاذا عارضهم معارض ، وقال : أنتم تدعون الإيمان ، و تباشرون أعمال الشرك ، فكيف تجمعون بين الماء و النار ، و توافقون بين الضب و النون ؟ قالوا : نحن لا نأتى بشئ من الشرك ، إنما نبدى ما نعتقد في الأنبياء و الأولياء من الحب

(١) - سورة يوسف الآية ١٠٦ •

والتقدير ، أما إذا عدلناهم بالله ، واعتقدنا أنهم و الله جل وعلا بمنزلة سواء ، كان ذلك شركا ، لا شك فيه ، و لكننا لا نقول بذلك ، بل نعتقد بالعكس ، إنهم خلق الله وعبيده ، أما ما نعتقده فيهم من القدرة والتصرف في العالم ، فهما مما أكرمهم الله وخصهم به ، فلا يتصرفون في العالم إلا بأذن منه ورضاه ، فما كان نداؤنا لهم ، و استعانتنا بهم إلا نداء لله و استعانة به ، و لهم عند الله دالة و مكانة ليست لغيرهم ، قد أطلق أيديهم في ملكه ، و حكمهم في خلقه ، يفعلون ما يشاؤون ، و ينقضون ويبرمون ، وهم شفعاؤنا عند الله ، و وكلاؤنا عنده ، فن حظى عندهم ، و وقع عندهم بمكان ، كانت له حظوة و منزلة عند الله ، و كلما اشتدت معرفته بهم ، اشتدت معرفته بالله ، إلى غير ذلك من التأويلات الكاسدة ، و الحجج الداحضة ، التي ما أنزل الله بها من سلطان .

و السر في ذلك أن القوم قد نبذوا كلام الله و حديث رسوله ورائهم ، و سمحوا لعقولهم القاصرة أن تتدخل فيما ليس لها مجال فيه ، وتشبهوا بالأساطير والروايات الشائعة التي لا تستند إلى تاريخ و نقل صحيح ، و احتجوا بتقاليد خرافية . وعادات جاهلية ، وإن كانوا عولوا على كلام الله ورسوله و عنوا بتحقيقه ، عرفوا أنها نفس التأويلات ، والحجج التي كان كفار العرب يتمسكون بها

في عصر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ، و يحاجونه بها ،
 ولم يقبلها الله منهم ، بل كذبهم فيها ، فقال في سورة يونس :
 « ويعبدون من دون الله مالا يضرهم ولا ينفعهم ، ويقولون هؤلاء
 شفعاؤنا عند الله ، قل أتنبئون الله بما لا يعلم في السموات والأرض ،
 سبحانه وتعالى عما يشركون (١) » ، وقد علمنا من هذه الآية أنه
 لا يوجد في سماء ولا أرض من يشفع لأحد ، و تنفع شفاعته
 من استشفع به ، و ما شفاعاة الأنبياء و الأولياء إلا بأذن ربهم ،
 « لا يشفعون إلا لمن ارتضى ، و هم من خشيته مشفقون (٢) » ،
 فسواء ناداهم أحد ، أو صرخ باسمهم ، أو لم ينادهم و لم يصرخ
 باسمهم ، فلا يتحقق إلا ما يريد الله و يأمر به .

و قد تبين من هذه الآية ، أن من عبد أحداً من الخلق ،
 اعتقاداً بأنه شفيعه ، كان مشركاً بالله ، وقد قال الله تعالى في سورة
 الزمر : « و الذين اتخذوا من دونه أولياء ما نعبدهم إلا ليقربونا
 إلى الله زلفى ، إن الله يحكم بينهم فيما هم فيه مختلفون ، إن الله لا
 يهدي من هو كاذب كفار (٣) » .

(١) سورة يونس الآية ١٨ .

(٢) سورة الأنبياء الآية ٢٨ .

(٣) سورة الزمر الآية ٣ .

و قد نكب هؤلاء الجهال عن طريق الحق ، وأعرضوا عن الله الذى كان أقرب إليهم من كل أحد ، و أقبلوا على غير الله ، و اتخذوه ظهيراً و نصيراً ، و ولياً من دون الله ، و حرموا نفوسهم النعمة الكبيرة ، التى أنعم الله بها عليهم ، فانه يحقق جميع المطالب ، و يرد جميع الآفات من غير واسطة ، فلم يشكروا هذه النعمة ، و لم يقدروها قدرها ، وأقبلوا على خلقه يطلبون منهم قضاء الحاجات ، ورفع الآفات ، ففسروا الميسور ، وفضلوا ملتوى الطريق ، و جاهدوا فى غير جهاد ، و بدلوا نعمة الله كفرأ و هم يحسبون أنهم يحسنون صنعا ، و يبتغون فى ذلك عند الله قرباً و زلفى ، و لكنهم لم ينالوا بذلك مطلوبهم ، ولم يسعدوا بالقرب عند الله ، بل بالعكس من ذلك ، كلما أمعنوا فى هذا الطريق ، و استمروا فى هذا السلوك ، ازدادوا من الله بعداً ، و قد وضع من ذلك ، أن من اتخذ ولياً من دون الله ، و إن كان ذلك على أساس أن عبادته تقربه عند الله كان مشركاً بالله ، كاذباً ، كافراً بنعمة الله .

وقال الله تعالى فى سورة المؤمنون : « قل من بيده ملكوت كل شئ ، و هو يجير ولا يجار عليه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله ، قل فأنى تسحرون (١) » .

و قد تبين من هذه الآية ، أن الله سبحانه و تعالى لم يمنح
أحدًا من خلقه قدرة التصرف فى العالم ، وأنه لا طاقة لأحد أن
يدافع عن أحد .

حقيقة شرك أهل الجاهلية و ضلالهم :

و كذلك تبين أن الكفار الذين كانوا فى عصر النبي ﷺ ،
لم يكونوا يعدلون آلهتهم بالله ، و يرونهم مع الله بمنزلة سواء ،
بل كانوا يقرون بأنهم مخلوقون و عبيد ، و لم يكونوا يعتقدون أبدًا
أن آلهتهم لا يقولون عن الله قدرة و قوة ، و هم ، و الله فى كفة
واحدة ، فما كان كفرهم و شركهم إلا ندامهم لآلهتهم ، و النذور
التي كانوا ينذرون لها ، و القرايين التي كانوا يقربونها بأسمائهم ،
و اتخاذهم لهم شفعاء ، و وكلاء ، فمن عامل أحدًا بما عامل به
الكفار آلهتهم ، و إن كان يقر بأنه مخلوق و عبيد ، كان هو
و أبو جهل فى الشرك بمنزلة سواء .

خلال الشرك و أعماله :

فاعلم أن الشرك لا يتوقف على أن يعدل الانسان أحدًا بالله ،
و يساوى بينهما ، فلا فرق ، بل إن حقيقة الشرك أن يأتى الانسان
بخلال و أعمال ، خصها الله بذاته العلية ، و جعلها شعاراً للعبودية ،
لأحد من الناس ، كالسجود لأحد ، و الذبح باسمه ، و النذر له ،

والاستغاثة به في الشدة ، واعتقاد أنه حاضر ناظر في كل مكان ،
و إثبات قدرة التصرف له ، وكل ذلك يثبت به الشرك ، ويصبح
الانسان به مشركا ، وإن كان يعتقد أن هذا الانسان ، أو الملك ،
أو الجنى الذى يسجد له ، أو يذبح ، أو ينذر له ، أو يستغيث به ،
أقل من الله شأناً ، و أصغر منه مكاناً ، و أن الله هو الخالق ،
و هذه عبده و خلقه ، لا فرق في ذلك بين الاولياء و الأنبياء ،
و الجن و الشياطين ، و العفاريت ، و الجنيات ، فمن عاملها هذه
المعاملة كان مشركا، لذلك وصف الله اليهود والنصارى ، الذين غلوا
في أحبارهم و رهبانهم ، مثل ما غلا المشركون في آلهتهم بما وصف
به عباد الأوثان و المشركين ، و غضب على هؤلاء الغلاة المنحرفين ،
كما غضب على غلاة المشركين ، فقال : « اتخذوا أحبارهم و رهبانهم
أرباباً من دون الله ، و المسيح بن مريم ، و ما أمروا إلا ليعبدوا
إلهاً واحداً ، لا إله إلا هو ، سبحانه وتعالى عما يشركون (١) » .
و قد ذكر أن جميع الخلق سواءاً كانوا علماء أو عباداً ،
حكماً أو ملوكاً ، كلمهم عبيد خاضعون ، عاجزون ضعفاء ، لا
يملكون موتاً و لا حياة و لا نشوراً ، و لا يملكون إذا بعثهم
الله ، و طلبهم إلا أن يقفوا أمام ربهم خاضعين مستسلمين ، طائعين

(١) سورة التوبة الآية ٣١ .

مقادين ، يقول الله تعالى في سورة مريم « إن كل من في السماوات
والارض إلا آتى الرحمن عبداً ، لقد أحصاهم وعدهم عدأً ، وكلهم
آتيه يوم القيامة فرداً (١) ، فظهر أنه هو المتصرف وحده ، وأنه
لا يملك أحداً غيره ولا يمكنه فيه ، وأن الناس يأتون ربهم فرادى
لا يمنع أحد آخر ، و قد تظافرت الآيات على ذلك و كثرت .
و من تأمل في آيتين ، أو ثلاث من الآيات الكثيرة التي
سردناها ، و التي لم يتسع المجال لذكرها ، عرف الفرق بين الشرك
و التوحيد ، و تجلت له حقيقةهما ، و قد آن الاوان لأن نذكر
الحلال و الاعمال التي خصصها الله بذاته العلية ، ولم يأذن لغيره
أن يكون له نصيب منها ، و هي كثيرة يطول ذكرها ، و لكن
لابد أن نخص بالذكر منها ما يستطيع القارىء ، الفهم الذكى أن
يقيس عليها ، و يميز بين الحق و الباطل ، و الهدى و الضلال .
العلم المحيط الشامل من خصائص الله تعالى :

و في مقدمة هذه الأمور ، أنه من شأن الله وحده أن
يكون حاضراً و ناظراً في كل مكان ، يعلم ما دق و جل ، و بعد
أو دنا ، أو خفى أو ظهر ، لا تخفى عليه خافية في أى وقت ، لا
فرق في ذلك بين نور وظلمة ، وبين سماوات وأرضين ، و بين قلل

(١) سورة مريم الآية ٩٣ - ٩٤ - ٩٥ .

الجلال ، و أغوار البحار ، هذا العلم المحيط الشامل لكل زمان ومكان ، الذى لا يعزب عنه مثقال ذرة ، صفة خاصة بالله تعالى ، لا يشاركه فيها أحد ، فمن كان يلهمج باسم أحد من الخلق ، ويناديه قائماً وقاعداً ، وعن قرب وبعد ، ويستصرخه ويستغيث به عند نزول البلاء ، ودفع الأعداء ، ويختم ختمه باسمه ، أو يراقبه ، و يركز فكره عليه ، و يصرف همهته إليه ، متمثلاً صورته كأنه يشاهده ، و يعتقد أنه إذا ذكر اسمه باللسان أو القلب ، أو تمثل صورته ، أو قبره ، واستحضرهما ، علم بذلك و عرفه ، و أنه لا يخفى عليه من أمره شئ ، و أنه مطلع على ما ينتابه من مرض و صحة ، و عسر و يسر ، و موت و حياة ، و حزن و سرور ، ولا يتفوه بشئ من كلام ، و تنطق به شفتاه ، ولا يساوره هم من الهموم ، و لا يجول بخاطره معنى ، إلا و علم ذلك ، و اطلع عليه ، كان بذلك مشركاً ، و كل ذلك يدخل فى الشرك .

و يسمى هذا النوع « الاشراك فى العلم » ، و هو إثبات صفة العلم المحيط لغير الله ، و إن كان هذا الاثبات لنبي أو ولى ، أو شيخ أو شهيد ، و إمام (١) أو سليل إمام ، أو عفريت أو جنية ، سواء اعتقد أنه يعلم من ذاته ، أو يعلم أنه منحة من الله ،

(١) . يعنى أئمة أهل البيت .

و عطاء منه ، و قد استقل بهذا العلم ، و أصبح له صفة لا تنفك عنه ، كل ذلك شرك .

التصرف المطلق بالارادة ، و القدرة
الكاملة ، من خصائص الله تعالى :

و الشئ الثانى يجب أن يعتقد الانسان ، أن التصرف فى العالم بالارادة ، و إصدار الامر و النهى ، و الامانة و الاحياء كما يشاء ، و البسط و القبض فى الرزق ، و الافاضة بالصحة و المرض ، و الفتح و الهزيمة ، و تسخير القضاء و القدر لانسان ، فيكون النصر دائماً حليفه ، و يكون محظوظاً لا تزال أموره فى إقبال ، أو بالعكس فتدبر عنه الدنيا ، و يلج به الخذلان ، و أنجاح المطالب و تحقيق الأمانى ، و دفع البلايا ، و الاغاثة فى الشدائد ، و إلهاف الملهوف ، و إنهاء العاثر ، هذه كلها من خصائص الله تعالى ، لا يشاركه فيها أحد من الأنبياء و الأولياء ، و الشهداء و الصالحاء ، و العفاريت و الجنيات ، فمن أثبت هذا التصرف المطلق لأحد منهم ، و طلب منه حاجاته ، و قرب القرابين و النذر لأجل ذلك ، أو استصرخه فى نازلة ، كان مشركاً ، و يقال لهذا النوع ، الاشرار فى التصرف ، سواءً اعتقد أنهم يقدرون على ذلك بأنفسهم ، أو اعتقد أن الله سبحانه و تعالى و بهم هذه القدرة ،

و خلع عليهم هذه الكرامة .

أعمال العبادة وشعائرها ، خاصة بالله تعالى :

و الشئ الثالث أن الله سبحانه وتعالى خصص بعض أعمال التعظيم لنفسه ، و هى التى تسمى « عبادة » كالسجود و الركوع ، والوقوف بمخشوع وتواضع (مثلا يضع يده اليمنى على اليسرى (١)) و إتفاق المال باسم من يعتقد فيه الصلاح أو العظمة ، و الصوم له ، و قصد بيته من أنحاء بعيدة ، و شد الرحل إليه بوجه يعرف كل من رآه أنه يوم بيته حاجاً زائراً ، والهاثف باسمه فى الطريق كالتلبية ، و التجنب من الرفث و الفسوق ، و القنص و صيد الحيوانات ، و يمضى بهذه الآداب و القيود ، و يطوف بالبيت ، و يسجد إليه ، و يسوق الهدى إليه ، و ينذر النذور هناك ، و يكسو ذلك البيت ، كما تكسى الكعبة ، و الوقوف على عتبة ، و الاقبال على الدعاء والاستغاثة ، و السؤال لتحقيق مطالب الدنيا والآخرة ، و بلوغ الأمانى ، و تقبيل حجر من أحجار هذا البيت و الالتزام بمجدهاره ، و التمسك بأستاره ، و إنارة السرج والمصباح حوله تعظيماً و تعبداً ، والاشتغال ببنائنه ، والقيام بجميع الأعمال التى يقوم بها السدنة من كس و إنارة ، و فرش و سقاية ،

(١) كما كان يقف العبيد بين يدي سادتهم فى مجالس الملوك فى بلاد العجم .

و تهية أسباب الوضوء و الغسل ، و شرب ماء بثره تبركا ، و صبه
على الجسم ، و توزيعه على الناس ، و حمله إلى من لم يحضر ،
و المشى مدبراً عند العودة ، حتى لا يولى البيت دبره ، و احترام
الغابة التي تحيط به ، و التأدب معها ، فلا يقتل صيدها ، ولا يعصد
شجرها ، و لا يختل خللاها ، و لا يرعى ماشية في حماها .

كل هذه الأعمال علمها رب العالمين عباده ، وأفردها لنفسه ،
فمن أتى بها لشيخ طريقة ، أو نبي ، أو جنى ، أو لقبر محقق ،
أو مزور ، أو لنصب ، أو لمكان عبادة ، عكف فيها أحد الصالحين
على العبادة و الذكر و الرياضة ، أو لبيت ، أو لأثر من آثار
أحد الصالحين ، يتبرك به ، أو شعار يعرف به ، أو يسجد لتابوت أو
يركع له ، أو يصوم باسمه (١) أو يقف أمامه خاشعاً متواضعاً ،
واضعاً إحدى يديه على الأخرى ، أو يقرب له حيواناً ، أو يؤم

(١) يظهر أن بدعة الصوم بأسماء الصالحين و الصالحات من الأمة ، قد ظهرت
في العصر القديم في الهند ، و قد يكون الصوم لشخصيات خيالية لا وجود
لها ، و لهذا الصوم أحكام و آداب في النية و الافطار ؛ و أيام محدودة ،
و يطلب منه قضاء الحاجات من أولئك الذين يهام باسمهم ، والاستعانة
بهم ، و قد شنع على ذلك الامام الشيخ أحمد بن عبد الواحد السهرندي
(المتوفى ٥١٠٣ هـ) في رسالة له إلى إحدى الصالحات من أتباعه ، و عده
إشراكاً في العبادة . (رسالة رقم ٤١/٣ رسائل الامام أحمد بن عبد الواحد) .

يدتاً من هذه البيوت من بعيد ، فيشد إليه الرجل ، أو يوقد السرج فيه تعظيماً و تعبداً ، أو يكسوه بكسوة (كما تكسى الكعبة) أو يضع على ضريح ستوراً (١) ، أو يغرز علماً ، أو عوداً باسمه (٢)

(١) اعتاد الغلاة في تعظيم الاموات والقبور أن يكسوا ضرائح الأولياء و الصالحين بالستور والثياب ، و ياملونها معاملة الأحياء من المشايخ و العظماء .

وقد ظهرت هذه البدعة في بعض البلاد العربية ، يقول الشيخ على محفوظ في كتابه « الابداع في مضار الابتداع » : « ومن البدع الستور التي توضع على الأضرحة ويتنافس فيها » ، إلى أن قال : « ولكن خدمة الأضرحة سول لهم الشيطان ، ذلك ليفتح لهم باباً من الارتزاق الخبيث ، فترام إذا احتاجوا لتجديد ثوب التابوت لكل عام ، أو إذا بلى ، يوهمون العوام أن بها من البركة ما لا يحاط به ، و إنها نافعة في الشفاء من الأمراض ، و دفع الحساد و جلب الأرزاق و السلامة من كل المكارهِ ، و الأمن عن جميع المخاوف ، قتهافت عليها البسطاء ، و هان عليهم بذل الأموال في الحصول على اليسير منها . (الابداع ص ٩٦ - ٩٧)

(٢) و هي من عادات الغلاة و الجهال في الهند .

و إذا رجع رجع على أعقابہ ، أو يقبل القبر ، أو يحرك المراوح
 علیہ ، ليزب الذباب ، كما يفعل الخدم مع أسبادهم الاحياء ، أو
 ينصب علیہ سرادقاً ، أو يقبل عنتبه ، و يضع النقي على اليسرى ،
 و يتضرع إليه ، أو يجلس على ضريح سادنا وقيما ، و يتأدب مع
 ما يحيط به من أشجار و آجام ، و أعشاب ، فلا يتعرض لها باهانة
 أو إزالة ، إلى غير ذلك من الاعمال و الالتزامات ، فقد تحقق
 علیہ الشرك ، و يسمى « إشراكاً في العبادة » سواءً اعتقد أن
 هذه الأشياء تستحق التعظيم بنفسها ، و أنها جديرة بذلك ، أو اعتقد
 أن رضا الله في تعظيم هذه الأشياء ، و أن الله يفرج الكرب
 ببركة هذا التعظيم .

علامات التعظيم الدال على العبودية
و الاستكانة ، خاصة بالله تعالى :

الرابع أن الله علم عباده طرقاً يستقيم بها إيمانهم ، و تنزل
 البركة في حياتهم الدنيا ، و تتحقق بها مطالبهم ، منها النذر لله في
 الشدة ، و نزول البلاء ، و النداء باسمه عند كربة و ضيق ، و افتتاح
 كل عمل باسمه ، و الذبح له حين يرزقون ولدأ شكراً لله تعالى ،
 و تسميتهم بأسماء يتجلى فيها التوحيد و العبودية ، كعبد الله ،
 و عبد الرحمن ، و هبة الله ، و جاد المولى ، و عطاء الله ، و أمة الله ،

و عطية الرحمن (١) ، و تخصيص جزء من حواصل المزارع ،
و ثمار البساتين باسم الله تعالى ، و تخصيص جزء من المال ،
و الماشية ، و نذره لله تعالى ، و تعظيم الهدى والقلائد لبيت الله ،
و امتثال أوامره ، و الانتهاء من نواهيه في المأكل ، والمشرب ،
و اللبس ، و اعتقاد أن كل ما يصيبه من خير و شر ، و مجاعة ،
و رخى و غلاء ، و صحة و سقم ، و فتح و عزيمة ، و سعد
و شقاء ، و مساعدة الحظ و تخلفه ، و حزن و فرح ، كله في
قبضته ، و الاحالة إلى مشيئته قبل ذكر إرادته ، فيقول سأعمل
كذا إذا شاء الله ، و تعظيم اسمه تعظيما تتجلى فيه قدرة الله ، و عجز
العبد ، فيقول مثلاً ربى ، و سيدى ، و خالقى ، و إذا أراد أن
يحلف يحلف باسمه ، إلى غير ذلك من علامات التعظيم وشعائره ،
فن أتى بذلك للأنبياء والأولياء ، والأئمة والشهداء ، والعقاريت ،
والجنيات ، مثلاً ينذر لها إذا ألت به كربة ، أو نزلت به ضائقة ،

(١) ذكر المؤلف هنا أسماء هندية تنطق بالتوحيد ، و تم عن
العقيدة الصحيحة كـ «خدا بخش» يعنى هبة الله ، و «الله
ديا» يعنى عطاء الله ، و «الله دى» للأنثى يعنى عطية الله ،
غيرناها بأسماء شائعة في بلاد العرب ، تسهلاً للقارئ
العربى .

أو ينادى بأسمائها عند ملة أو نازلة ، أو يفتح عمله بأسمائها ، وإذا
 رزق ولدآ ، نذر لها نذوراً ، أو سمي أولاده بـ « عبد النبي » ،
 أو « إمام بخش » ، أو « پير بخش » ، ويخصص جزءاً من الحبوب
 أو الثمرات لها . ويقدم لها مما أخرجته الأرض من زروع وأثمار ،
 ثم يستعمله في أغراضه ، ويخصص من المال ، و قطعان
 الأنعام ، أموالاً و دواب ، ثم يتأدب معها ، فلا يصرفها ،
 و لا يزجرها عن العلف و الثبن ، و لا يضربها بعضاً أو حجر
 أدباً و تعظيماً ، و يتمسك بالعادات القديمة ، و الأعراف الشائعة
 في الأكل و الشرب ، و اللباس ، و يتقيد بها كما يتقيد بأحكام
 الشريعة ، فيحرم طعاماً و لباساً لآناس ، ويحلبها لآناس ، ويحظرهما
 على طبقة (كالذكور و الإناث) ، و يبيحهما لآخرى ، فيقول :
 إن الطعام الفلاني لا يقربه الرجال (١) ، و إن الطعام الفلاني
 لا تقربه الجوارى ، و لا تقربه المرأة التي تزوجت بزواج ثان ،
 و إن الخيصر الذي يعد باسم الشيخ عبد الحق (٢) لا يأكله من

(١) نوع من الطبخ يطبخ في الهند باسم السيدة فاطمة بنت النبي
 صلى الله عليه وآله وسلم ، يمنع منه الرجال دون النساء ،
 فلا يأكلونه ، و لا يقربونه .

(٢) يعنى الشيخ عبد الحق الرذولوى من كبار المشايخ والمرين

يستعمل النارجيلة (١) ، و ينسب ما يحدث من خير و شر ،
و ما ينتاب من بؤس و رخاء ، إلى هؤلاء المشايخ و الأولياء ،
فيقول : إن فلاناً أدر كته لعنة فلان ، فجن ، و فلان طرده فلان ،
فافتقر ، و فلان أنعم عليه فلان فساعدته الحظ ، وحالفه الأقبال ،
و أصابت الناس المجاعة بنوء كذا ، ونوء كذا ، و فلان بدأ عمله
يوم كذا ، و في ساعة كذا فلم يوفق ، و لم يتم ، أو يقول :
إن شاء الله و رسوله كان كذا ، أو يقول : إن شاء شيخي وقع
كذا ، أو يضفي على من يعظمه أسماء و صفات تختص بالله ،
وهي من نعوت العظمة و الكبرياء ، والغنى عن الخلق ، والقدرة

و من أئمة الطريقة الجشتية في الهند ، ولد و نشأ في
« ردولي » من توابع لكناؤ ، و كان له شأن رفيع في
التوحيد ، و تعظيم الشريعة ، و المحافظة على الفرائض
و السنن ، ودعاء الخلق إلى الله ، و التجريد و التفريد ،
توفي سنة ٥٨٣٦ هـ ، و قد اخترع الغلاة والجهال في الهند
طعاماً خاصاً يسمونه بـ « زاد الشيخ عبد الحق » يركب
من السميد والسكر ، وله آداب ، وقيود يحافظ عليها بشدة .
الخبيص : الحلواء المخبوضة وخبص الشئ بالشئ : خلطه .

(١) يعني الشيعة .

المطلقة ، و الجود الذى لا نهاية له ، أو القهر و الجبروت ، مثل
المعبود ، و أغنى الأغنياء ، و إله الآلهة ، و مالك الملك ، و ملك
الملوك ، أو يحلف بالنبي ، أو بعلى ، أو بأحد أولاده (الذين
يسمىهم الشيعة الأئمة الاثني عشر) أو بشيخ ، أو بقبره ، كل ذلك
يتحقق منه الشرك و يسمى « الاشراك فى العبادة » يعنى أن يعظم
غير الله فى الاعمال التى اعتادها تعظيماً ، لا يليق إلا بالله .

و هذه الانواع الاربعة للشرك ، قد جاء ذكرها صريحاً فى
القرآن والحديث ، لذلك قسمنا هذا الباب فى خمسة فصول ، وهى
كما يلى .



الفصل الأول

في التحذير عن الشرك

قال الله تعالى : « إن الله لا يغفر أن يشرك به ويعتقر ما دون ذلك لمن يشاء ، و من يشرك بالله فقد ضل ضللاً بعيداً (١) .

الفرق بين الشرك ، و سائر الذنوب :

اعلم أن هنالك أنواعاً من الذنوب و الآثام ، يقترفها الناس إذا جمحت بهم النفوس ، و غلبهم الهوى ، فمنهم من لا يميز بين حلال و حرام ، و منهم من يقترف سرقة ، أو عملاً من أعمال الفسوق ، أو يترك الصلاة و الصيام ، أو لا يأتي بما فرض الله عليه من حقوق الأهل و العيال ، أو يسيئ إلى والديه ، و يغفل القول لهما ، و لكن الذي تورط في الشرك فقد أسرف ، و ظلم نفسه ظلماً مديناً ، لأنه قد جنى جناية لا يغفرها الله ، أما الذنوب

(١) سورة النساء ١١٦ .

و الآثام الأخرى ، فربما يغفرها الله ، و يتجاوز عنها ، و لكن
الشرك ، لابد أن يوفى حسابه .

الشرك الجلى ثورة وخروج ، يحرك الغيرة الالهية :

الشرك الجلى الذى هو من آخر درجات الشرك ، و يكفر
به الانسان ، يبقى صاحبه فى النار خالداً مخلداً لا يخرج منها ، أما
أنواع الشرك ، التى هى دون هذا الشرك ، فسياق صاحبها ما أعد
الله لها من العقوبات فى الآخرة ، إن شاء عفا عنها ، و إن شاء
أخذ بها ، و مثل ذلك أن الملك قد يعفو عن أناس من رعيته
يرتكبون سرقة ، و عن أناس يقطعون الطريق على قوافل ، أو
يشنون غارة ، و منهم من يتكاسل عن الحراسة ، أو الخفارة فينام
عنها ، و منهم من يتخلف عن حضور مجلس الملك ، و المتول بين
يديه عندما يجلس للناس ، و يتهاون بذلك ، و منهم من يتولى عن
الزحف ، و يتسلل عن الحرب ، و منهم من يقصر فى أداء الضرائب
و واجبات الحكومة ، و لكل جناية من هذه الجنايات عقوبات
محددة عند الملك ، إن شاء أخذ بها ، و إن شاء عفا عنها .

و تقابل هذه الجنايات جنایات تم عن الثورة على الملك
و الخروج عليه ، مثلاً يبايع بالملك لأمير أو وزير ، أو دهقان
أو مرزبان ، أو عمدة قرية ، أو موظف حكومى من أصحاب

التيباهة و أهل النبل ، أو لكناس أو إسكاف من أهل المهن
الوضيعة ، و الطبقات السافلة ، فيصنع له تاجاً و إكليلاً ، و يهني
له عرشاً و سريرآ ، أو يخلع عليه الألقاب الملوكية ، و يخاطبه
بجلالة الملك ، و ظل الله في الأرض ، أو يأتي له بالتحيات التي
يؤتي بها للملوك ، و بالآداب التي جرت بها العادة عند الملوك ،
أو يحتفل بيوم جلوسه ، كما تحتفل الرعية بيوم جلس فيه ملكها
على العرش و جرى تنويجه (١) فيه ، أو يقدم له نذراً (٢) ، كما

(١) كانت للوك في الهند أيام معلومة يحتفلون بها ، فيوزعون
فيها الصدقات على الفقراء و المساكين ، و كان من هذه
الايام اليوم الذي جلس فيه على العرش ، فكان الملك يوزن
بالذهب والفضة ، فيوزع ما وزن به على الفقراء ، و كان
ذلك اليوم يؤرخ به ، فيقال السنة الجلوسية ، و كان هذا
الاحتفال من شعائر الملك ، و مظهراً من مظاهر العظمة
والآبهة ، و كان مختصاً بصاحب السرير والتاج ، لا يشركه
فيه أحد من الرعية .

(٢) اعتاد الملوك من المغول و غيرهم في الهند أن يقدم لهم
الأمراء ، و رجال البلاط ، و الخواص من الرعية نقداً
يضعونه على الراحة اليمنى ، ويقدمونه بطريقة مرسومة إليهم
فيقبلونه أو يضعون يدهم عليه ، و يردونه إليهم ، فيتبركون

يقيم للوك ، فهذه الجناية أكبر من كل جناية ، و صاحبها لا محالة
 لافق جزاءه ، و كل ملك يستهين بشأن هذه الجنایات ، و يغفل عن
 معقبة هؤلاء المجرمين كان في ملكه وهن ، و نسبة العقلاء إلى قلة
 الغيرة ، وضعف الرأى ، وسقوط الهمة ، أما مالك الملك تبارك
 و تعالى فهو أغیر من كل غيور ، و أقوى من كل قوى ، فيجب
 أن يخشى بأسه ، و تتق سطوته ، فكيف يعقل أن يتغافل عن
 المشركين ، و كيف لا يوفيهم حسابهم ، لطف الله بالمسلمين ،
 و وقاهم آفات الشرك .

الشرك ظلم ، و وضع للشئى فى غير محله :

قال الله تعالى : « واذ قال لقمان لابنه و هو يعظه : يا بني
 لا تشرك بالله ، إن الشرك لظلم عظيم (١) » ، وقد هدت لقمان الحكمة
 العميقة التى أكرمه الله و خصه بها ، إلى أن أحس الظلم أن يهود
 الانسان على أحد بحق غيره ، فمن أعطى حق الله لأحد خلقه فقد
 عمد إلى حق أكبر كبير ، فأعطاه أذل ذليل ، وكان كرجل وضع

به ، و يعتبرونه شرفاً عظيماً ، ويسمى «النذر» ، وكان من
 شعائر السلطنة و الملوكة ، و علامة الاخلاص ، و الحب
 و التعظيم من الرعية .

(١) سورة لقمان الآية - ١٣ .

تاج الملك على مفروق إسكاف (١)، و أى جور أكبر من هذا
الجور و أى ظلم أخش من هذا الظلم ؟

(١) و قد بين ذلك الامام عبد القادر الكيلانى المتوفى ٥٦١هـ
الذى اتفقت على ولايته وجلالة شأنه الطوائف الاسلامية
و جماهير المسلمين، فى مثال حكيم يصور سفاهة من يلتجئ
إلى غير الله فى دفع مكروهه ، أو جلب منفعة ، تصويراً
دقيقاً ، قال رحمه الله :

« اجعل الخليفة أجمع كرجل كتفه سلطان عظيم ملكه ،
شديد أمره ، مهولة صولته و سطوته ، ثم جعل الغل فى
رقبته مع رجليه ، ثم صلبه على شجرة الارز على شاطئ نهر ،
عظيم موجه ، فسبح عرضه ، عميق غوره ، شديد جريه ،
ثم جلس السلطان على كرسى ، عظيم قدره ، عالية سماؤه ،
بعيد مرامه و وصوله ، وترك إلى جنبه أحمالاً من السهام ،
و الرماح ، و النبل ، و أنواع السلاح والقسى مما لا يبلغ
قدرها غيره ، فجعل يرمى إلى المصلوب بما شاء من ذلك
السلاح ، فهل يحسن لمن رأى ذلك أن يترك النظر إلى
السلطان ، و يترك الخوف منه ، و الرجاء منه ، و يخاف
من المصلوب ويرجو منه ؟ أليس من فعل يسمى فى قضية
العقل عديم العقل و مجنوناً ، بهيمة غير إنسان .
(فتوح الغيب ، المقالة السابعة عشرة)

وليعلم يقيناً أن كل مخلوق كبيراً كان أو صغيراً هو أذل من
 إسكاف ، أمام عظمة الله و جلالته ، وقد دلت الآية ، و شهد
 به الشرع و العقل السليم ، أن الشرك أقبح العيوب ، و ما زال
 الناس يعتبرون إساءة الأدب مع كبرائهم و ساداتهم أكبر عيب
 وأعظم خرق ، فلما كان تبارك و تعالى أكبر من كل كبير ، كانت
 إساءة الأدب إليه ، والاشراك معه عيباً ليس فوقه عيب ، وخرقاً
 لا يفوقه خرق ، وقد اتفقت جميع الشرائع على المنع من الشرك ،
 و الأمر بالتوحيد ، و هو الصراط المستقيم ، و طريق النجاة ،
 و كل ما عداها من طرق و مبل ، فهي طرق الضلال ، والسبل
 المردية ، قال الله تعالى : « و ما أرسلنا من قبلك من رسول إلا
 نوحى إليه أنه لا إلا أنا فاعبدون (١) » .

إن الله لا يقبل إلا خالصاً ، ليس لأحد فيه نصيب :

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ ، قال
 الله تعالى « أنا أغنى الشركاء عن الشرك ، من عمل عملاً أشرك فيه
 معي غيرى ، تركته و شركه ، و أنا منه بريئ » .
 وقد دل هذا الحديث على أن الله تعالى لا يقبل عملاً أشرك
 فيه معه غيره ، فلا يقبل عبادة المشرك بل يتبرأ منها ، وليس شأنه

(١) سورة الانبياء الآية ٢٥ .

شأن الذين يأخذون نصيبهم من الشئ المشترك بينهم و بين غيرهم ،
فانه أغنى من كل غنى ، وأغنى من كل غيور ، فلا يقبل إلا خالصاً
مخلصاً ، ليس لأحد فيه سهم أو نصيب .
عهد سبق في عالم الأرواح :

أخرج أحمد عن أبي بن كعب رضى الله عنه في تفسير قول
الله عز و جل : « و إذ أخذ ربك من بنى آدم من ظهورهم
ذريرتهم (١) » ، قال جمعهم فجعلهم أزواجاً ، ثم صورهم ، فاستنطقهم ،
فتكلموا ، ثم أخذ عليهم العهد و الميثاق ، و أشهدهم على أنفسهم
أست بربكم ؟ قالوا بلى ! قال فأتى أشهد عليكم السماوات السبع ،
و الأرضين السبع ، و أشهد عليكم أبائكم آدم « شهدنا أن تقولوا
يوم القيامة إنا كنا عن هذا غافلين » ، لم نعلم بهذا ، اعللوا أنه لا
إله غيرى ، ولا رب غيرى ، ولا تشركوا بى شيئاً ، إني سأرسل
إليكم رسلى يذكرونكم عهدي و ميثاقى ، و أنزل عليكم كتيبى ،
قالوا شهدنا بأنك ربنا و إلهنا ، لا رب لنا غيرك ، و لا إله لنا
غيرك .

وقد فسر أبى بن كعب رضى الله عنه الآية تفسيراً واضحاً ،
وذكر أن الله سبحانه وتعالى قد صنف أولاد آدم أصنافاً ، فكانت طائفة

(١) سورة الاحراف ، الآية ١٧٢ .

من الانبياء ، وطائفة من الاولياء ، و طائفة من الشهداء ، وطائفة من الصالحاء ، وطائفة من المطيعين ، وطائفة من العصاة والفاسقين ، و طائفة من الكفار كاليهود و النصارى ، و المجوس والمشركين ، و أبرز هذه الطوائف فى الصور والاجسام التى أراد خلقها ، منها الوسيم و منها الدميم ، و منها الأصم ، و منها الاعور ، و منها الاعمى ، ثم وهبها النطق ، ثم قال لها ألسنت بربكم ؟ فأقرت جميعاً ، و قالت بلى ! أنت ربنا ، ثم أخذ منها العهد و الميثاق ، أن لا تشرك فى ملكه و حكمه أحداً ، و أن لا تتخذ غيره رباً و إلهاً ، فقبلته جميعاً و أعطت العهد و الميثاق ، و أشهد الله على ذلك السماوات والأرض وأباهم آدم ، وقال : سيديت الانبياء ليذكروا بهذا العهد و الميثاق ، و سيجملون الكتب السماوية ، و أقرت كل طائفة على حدة على حدة بالتوحيد ، و تبرأت من الشرك ، فظهر من ذلك أنه لا مسوغ للاحتجاج بكلام عالم أو شيخ ، أو كلام آباء و أجداد ، أو ملوك و سلاطين .

و إن قال قائل : لقد نسينا فى هذه الحياة كل ما جرى فى عالم الأرواح ، فلا معول على شئ منسى ، ولا يصح الاحتجاج به ، و هذا لا يصح ، لأن الانسان كثيراً ما ينسى شيئاً ، ثم يؤمن به إذا أخبره به الثقات ، فكلنا ولد من بطن أمه ، ولكنه

لا يذكر هذه الساعة ، ولا هذا الحادث ، فانه كان لا يعنى ذلك
 و لم يكن يعقل فى ذلك الحين ، ولكن لما استفاض ذلك الخبر ،
 و تواترت به الأنباء ، و تناقلته الألسن ، آمن به ، ولم يشك فى
 أمه أنها له أم ، وهو لها ابن ، لا يعدل عنها عدولا ، و لا يبغى
 لها بديلا ، فمن عتق أمه ، و لم يبر بها ، و اتخذ له أمأ أخرى ،
 كثرت القالة فيه ، و أصبح شامة فى الناس ، فان تعلل بأنه لا
 يذكر هذا الحادث ، و أنه لا يعتمد على مجرد الاشاعة ، ضعف
 الناس عقله ، و سفهوا حلمه ، و اعتبروه قليل الحياء ، قليل الأدب ،
 فاذا كان الناس يعتمدون على حديث العامة ، و آمنوا بسببه بمحقق ،
 كان الأنبياء أولى بهذه الثقة ، و أجدر بالاحتجاج .

و قد تبين من هذا الحديث أنه قد سبق أمر الله بالتوحيد ،
 و النهى عن الشرك لكل نسمة فى عالم الأرواح ، و ما بعث
 الرسل ، و نزلت الصحف إلا لتبين ذلك و تؤكد ، و قد تلخص
 كلام الأنبياء الذين يبلغ عددهم إلى مائة ألف و أربعة و عشرين
 ألفاً (١) ، و علم الصحف السماوية ، التى يبلغ عددها إلى مائة
 و أربعة كتب (٢) فى هذه النكسة ، و هو الاعتصام بالتوحيد ،
 و إخلاص الدين لله ، و الابتعاد عن الشرك ، و اتخاذ غير الله

(١ - ٢) اشتهر ذلك قديماً ، و ذكره بعض المفسرين ؛ ولا نعلم له مستنداً .

حاكماً ، يتصرف فى الكون ، واتخاذہ رباً يطلب منه تحقيق مطالبہ
و إسعاف حاجتہ .

الضن بعقيدة التوحيد ، والاستقامة
عليها عند الفتنة و البلاء :

و أخرج أحمد عن معاذ بن جبل قال قال لى رسول الله
ﷺ : « لا تشرك بالله شيئاً و إن قتلت و حرقت » .

فيجب على المسلم أن يصبر على ما يصيبه من الأذى ، من
الجن أو العفاريت ، كما يجب عليه أن يصبر على ما يصيبه من محنة
أو مكروه من بشر فى حياته ولا ينبغي أن تحمله هذه الفتنة على
وهن فى الدين ، أو فساد فى العقيدة فيحبط بذلك عمله ، و يخسر
بذلك دينه الذى هو ملاك أمره ، و رأس ماله ، فيجب عليه أن
يعتقد أن الأمر كله بيد الله ، و لكنه قد يمتحن عباده ، و ينال
الأخيار أذى من الأشرار ليميز الله الخبيث من الطيب ، و يميز
بين المؤمنين والمنافق ، و كما أن المسلمين يكونون عرضة لأذى الكفار
و الفساق ، فلا يسعهم على ذلك إلا الصبر ، و لا يرضون أن
يتطرق إلى دينهم وهن ، أو يتسرب إلى عقيدتهم فساد . كذلك
قد يصيب بعض الصالحين مس من الجن ، أو خبل من الشياطين ،
فلا يكون ذلك إلا باذن الله و علمه فينبغى لهم أن يصبروا على

ذلك الأذى ، و لا يخضعوا لهذه القوى بالاستسلام أو التعظيم .
و قد دل هذا الحديث على أن من مقت الشرك ، و نبذ
الآلهة ، و كره تقديم النذور ، و القرايين إليها ، و حارب
العادات الجاهلية ، و التقاليد الباطلة ، فأصابته خسارة في المال ،
أو رزية في الأولاد ، أو آذاه شيطان باسم شيخ أو شهيد ، يجب
عليه أن يصبر على ذلك ، و يستقيم على دينه ، و يعتقد أن الله
ممتحنه في دينه ، و كما أن الله قد يمهل الظالمين و لا يهملهم ،
و يختص المظلومين منهم ، كذلك لا محالة هو معاقب للظلمة من
الجن ، و يختص للصالحين من أذاهم .

إقبال مملوك على غير ملكه ، وولى
نعمه ، قلة غيره و عدم وفاء :

و أخرج الشيخان عن ابن مسعود رضى الله عنه قال قال
رجل يا رسول الله أى الذنب أكبر عند الله ؟ قال : أن تدعو لله
مداً و هو خلقك ، .

و قد دل هذا الحديث على أن إشراك العبد أحداً لله تعالى
فى علمه المحيط ، و قربه من كل أحد ، و قدرته على كل شئ ،
فيستغيب به و يستصرخه أكبر الكبائر ، لأنه ليس فى إمكان أحد
أن يسعف بحاجته مثله ، و أن يكون فى كل مكان لا يغيب عنه

شئى .

ثم إنه إذا كان الواقع أن الله تعالى هو الذى خلقنا و هو ربنا — ونحن نقر بذلك — وجب علينا أن لا نادى إلا إياه ، و لا نستعين إلا به ، و ما لنا و لغيره (١) ؟ فمن كان من جملة عبيد ملك و صنائعه ، انقطع إليه كلياً ، وأطبق عينه عن كل ملك و رئيس ، فضلاً عن وضع أو خسيس ، أ يحمل بنا أن نكون أقل غيره ، و أضعف و فاءاً من المملوك لمولاه المجازى ؟

(١) وقد شنع الامام عبد القادر الكيلانى على من يشرك بالله غيره ، و يعتقد فيه النفع و الضرر ، و العطاء و المنع ، فى بلاغة و قوة ، فقال : « يا معرّضاً عن الحق عز و جل ، وعن الصديقين من عباده ، مقبلاً على الخلق ، مشركاً بهم ، إلى متى إقبالك عليهم ؟ إيش ينفعونك ؟ ليس بأيديهم ضرر و لا نفع ، و لا عطاء و لا منع ، لا فرق بينهم وبين سائر الجمادات فيما يرجع إلى الضرر و النفع ، الملك واحد ، الضرر واحد ، النافع واحد ، المحرك و المسكن واحد ، المسلط واحد ، المسخر واحد ، المعطى و المانع واحد ، الخالق و الرازق هو الله عز و جل » ،
(الفتح الربانى ، المجلس الثالث عشر)

الموحد المذنب حرى بأن يتوب ، و تدركه
رحمة الله و لطفه ، بخلاف المشرك العابد :

و أخرج الترمذى عن أنس قال قال رسول الله ﷺ ،
قال الله تعالى : « يا ابن آدم إنك لو لقيتني بقراب الأرض خطايا ،
ثم لقيتني لا تشرك بي شيئاً ، إلا آتيتك بقرابها مغفرة » .
و قد دل هذا الحديث على أن الإنسان مهما آتى به من
ذنوب ، و اقترف من آثام ، و إن كانت تعدل ذنوب أكبر
العصاة و المجرمين كفرعون و هامان ، و لكنه سلم عن الاشراك
بدل الله سيئاته حسنات ، و آتاه بقراب هذه الذنوب مغفرة ،
فظهر أن الذنوب تتضال أمام عقيدة التوحيد ، و أن بركاتها
تغشى المذنب فتحو خطاياهم ، كما أن للشرك شوماً و ظلمة تظني
على جميع الحسنات ، و تحبط جميع العبادات ، فانه إذا وقر في
قلب المؤمن ، و استقر أنه لا إله إلا هو ، لا رب سواه ، ولا
ملجأ و لا منجأ منه إلا إليه ، و أنه لا معقب لأمره ، و لا
راد لقضائه ، و ليس له وكيل و لا شفيع إلا بآذنه ، فقد تطهر
من أضرار الشرك ، فما صدر عنه من ذنب ، فهو من مقتضى
البشرية ، و نتيجة النسيان ، و السهو ، و يستولى على قلبه الخوف
من هذه الذنوب ، و ينال منه كل نال ، و من الطبيعي أن

يعاف هذه الذنوب و يستوحش منها ، حتى تضيق عليه الأرض
بما رحبت ، وتضيق عليه نفسه ، فلا تصفو له الحياة ، ولا يطيب
له طعام وشراب ، وكل من كان هذا شأنه أظلمه رحمة الله ولطفه،
و كلما أكثر من الذنوب اشتدت به السكابة و أحاطت به
الوحشة ، فمن رنحت قدمه في التوحيد عملت ذنوبه ما لا تعمل
عبادة غيره ، فكان الفاسق الموحّد خيراً من المتقي المشرك ألف
مرة ، كما أن الوفي المقصر من الرعية كان خيراً من الثائر المتعلق،
لأن الأول نادم على تقصيره ، و الثاني معجب بخديعته و نفاقه ،
مدل بنفسه ، يحسب أنه يحسن صنعا .

* * *

الفصل الثانى

فى

رد الاشراك فى العلم

الحواس الخمس الظاهرة ،
والعقل ، منحة إلهية عامة للبشر :

قال الله تعالى : « وعنده مفاتيح الغيب لا يعدها إلا هو (١) .
اعلم أن الله تعالى قد وهب عباده قوى و وسائل للاطلاع على
أمور ظاهرة ، فرزقهم العين ليبصروا ، والأذن ليسمعوا ، والأنف
ليشموا ، واللسان ليذوقوا ، و اليد ليجسوا ، و العقل ليفهموا
و يتبصروا ، وقد مكنهم من هذه الطرق و الوسائل ، و ملكهم
إياها ليستخدموها فى آرائهم و حاجاتهم ، فكلما أراد الانسان أن
يبصر فتح عينه و إلا أطبقها ، وإذا أراد أن يتذوق شيئاً وضعه
فى فمه ، إن شاء فعل و إن لم يشأ لم يفعل ، فكأنما أعطاهم مفاتيح
لاكتشاف هذه الأشياء و الاطلاع عليها ، و من كان عنده مفتاح
كان القفل خاضعاً له ، تابعاً لارادته ، إن شاء فتح ، و إن لم يشأ

(١) سورة الانعام الآية ٥٩ .

لم يفتح ، فكان الاطلاع على الأمور الظاهرة في تصرف الناس ،
وكانوا أحراراً فيه ، يتصرفون فيه كما يشاؤون .

علم الغيب خاص بالله تعالى ، و وراء طور البشر :

و هذا شأن الاطلاع على الغيب فيما يختص بالله تعالى ، فهو
ملكه و يتصرف فيه كما يشاء ، و هى صفته الدائمة ، و لم يجعل لولى
أو نبي ، أو جنى أو ملك ، أو شيخ أو شهيد ، أو إمام ، أو سليل
إمام (١) ، ولا لعفريت ولا لجنية أن يطلعوا على الغيب متى شاؤوا ،
إن الله قد يطلع من يشاء على ما يشاء متى يشاء ، لا يجاوز عليه
ما أراد الله اطلاعه عليه مثقال ذرة ، و كان ذلك خاضعاً لإرادة
الله تعالى ، لا لهوام .

و قد وقع للنبي ﷺ مراراً أنه رغب في الاطلاع على شئ ،
و لم يتيسر له ذلك ، فلما أراد الله ذلك أطلعه عليه في طرفة عين ،
و قصة الافك مشهورة معلومة للجميع ، و قد أشاع المناقون عن
سيدتنا عائشة ما هى عنه بريئة ، و قد كبر ذلك على النبي ﷺ ،
و بلغ منه كل مبلغ ، و قضى أياماً يفحص فيها عن الأمر فلم يتكشف
عليه الحقيقة ، وبقى أياماً مشغول الخاطر ، فلما أراد الله أن تنجلي

(١) يعتقد كثير من الشيعة ، أن الائمة الاثني عشر كانوا يعلمون الغيب و يطلعون
على الخفيات ، و قد توارثوه كإبراً عن كابر . و أباً عن جد .

عنه هذه الغمة ، و تنكشف له الحقيقة أخبره بأن المنافقين هم الكاذبون ، و أن عائشة رضى الله عنها بريئة من هذه التهمة ، فعلم من ذلك يقيناً أن مفتاح الغيب بيد الله تعالى ، لم يمكن منه أحداً ، ولم يملكه إياه ، و ليس له خازن بل هو الذى يفتح هذا القفل بيده ، فيهب من يشاء ما يشاء ، لا يمسك يده أحد ، ولا يمنعه عن ذلك أحد .

من ادعى لنفسه ، أو اعتقد فى أحد علم الغيب بالاستقلال و الدوام كان كاذباً أثماً :

و قد تبين من هذه الآية أن من ادعى علماً يعرف به الغيب متى شاء و أن الاطلاع على الامور المستقبلية ميسور له ، و تحت تصرفه ، كان كذاباً ، مدعياً للالوهية ، و من اعتقد ذلك فى نبي أو ولي ، أو جى أو ملك ، أو إمام أو ابن إمام ، أو شيخ أو شهيد ، أو منجم أو رمال ، أو جفار ، أو من يبحث عن الفال فى كتاب (١) ، و غير ذلك ، أو كاهن أو سادن ، أو عفرية

(١) اعتاد الناس فى الهند و غيرها أنهم إذا غم عليهم أمر ، وكانوا فى حيرة و تردد ، يقدمون رجلاً و يؤخرون أخرى ، فتحوا كتاباً يعتقدون فى مؤلفه الخير ، و شفوف الروح ، فيفتحونه من غير تخير ، فإواجههم فى الصفحة التى فتحوها (★)

أو جنية كان مشركاً ، منكراً لهذه الآية .

ومن وسوست له نفسه ، و سول له الشيطان أنه قد يتحقق ما يخبر به منجم ، أو رمال ، أو كاهن ، أو محترف بالأخبار بالسعد والنحس ، فبدل ذلك على علمه للغيب ، كل ذلك باطل ، فان كثيراً ما تخطئ أخبارهم و يقع عكسها ، فثبت من ذلك أنه لا صلة له بعلم الغيب ، وأنه ليس في تصرفهم ، وإنما يتكلمون رجماً بالغيب ، وقد يصيبون ، وقد يخطئون ، وهذا هو الشأن في الاستخارة والكشف ، و من يبحث عن الغال في المصحف .

وبالعكس من ذلك فانه لا خطأ في الوحي ، و الوحي لا يملكون من أمره شيئاً ، وإنما ذلك إلى الله ، إذا شاء أوحى إليهم بما شاء ، و إذا لم يشأ لم يوح إليهم ، لا أثر لرغبتهم في ذلك ، يقول الله تعالى : « قل لا يعلم من في السماوات و الأرض الغيب إلا الله ، و ما يشعرون أيان يبعثون (١) » ، فعلم أنه لاسلطان لأحد

⊛ تفاطوا به ، و بتوا الامر ، و قد كثر الاعتماد في ذلك في إيران ، و شبه القارة الهندية ، على « ديوان حافظ » الشاعر الإيراني الغزلي الصوفي ، المتوفى سنة ٥٧٩٣ هـ ، ويسمون هذا الاستفتاء « برؤية الغال » .

(١) سورة النمل الآية ٦٥ .

على الغيب ، و دليله أن جميع المؤمنين يؤمنون بأن الساعة آتية لا ريب فيها ، ولكنهم لا يعلمون موعدها بالتحديد ، يقول الله تعالى :
 « إن الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث و يعلم ما فى الأرحام ،
 و ما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، و ما تدرى نفس بأى أرض
 تموت ، إن الله عليم خبير (١) » .

الأمور المستقبلية التى لا تعلم بالقطع :

فإذا كان هذا شأن الساعة التى هى من الأمور القطعية ، ومن ضروريات الدين ، لا يعلمها أحد ، فما ظنك بغيرها من الأخبار و الحوادث كالفتح و الهزيمة ، و المرض و الصحة ، فإنها لم تشتهر اشتهار القيامة ، و لم تكن منزلتها من القطع و اليقين كمنزلة القيامة ، كذلك لا يعرف أحد متى ينزل المطر ، مع أن الفصول معينة ، و الأمطار فصل و إبان ، تجبئ فيه الأمطار فى غالب الأحيان ، و قد تشتد إليه حاجة البشر ، ويتمناه الأنبياء والأولياء ، والملوك ، و الحكماء فى بعض الأحيان ، و يرغبون فيها أشد الرغبة ، فان كان إلى العلم به سبيل اهتدى إليه بعض الأفراد ، أما الأشياء التى ليس لها فصل معين ، ولا يتفق الناس على الحاجة إليه ، أو الرغبة فيه ، كأن يموت رجل أو يعيش ، أو أن يرزق أحد ولداً ، أو يغنى

الانسان أو يفتقر ، أو أن ينتصر أحد في حرب أو يهزم أحد ،
فلا سبيل إلى علمها لأحد ، وكذلك ما كان في الأرحام من نطفة ،
فلا يعلم أحد هل هي واحدة أو توأم ، ذكر أو أنثى ، كاملة أو
ناقصة ، دمية أو وسيمة ، مع أن الأطباء قد أفاضوا في ذكر
أسبابها ، ولكنهم لا يعلمون شيئاً بالاختصاص .

العلم بمكنونات الضمائر ، وهو اجس
الخواطر ليس بميسور دائماً :

وإذا كان هذا شأن أمور تظهر أمارتها ، وتعرف مقدماتها ،
فكيف بما يضمرة الانسان من أفكار وخواطر ، وإرادات ونيات ،
وإيمان و نفاق ، وهي في بطون الضمائر ، وطيات الصدور ،
و إذا لم يعلم أحد ما مصيره غداً ، و ما هو فاعله ، (و ما تدرى
ماذا تكسب غداً) فكيف يعلم حال غيره ؟ وإذا لم يعلم مكان موته (و ما تدرى
نفس بأى أرض تموت) فكيف يعلم أن يموت فلان ومتى يموت ؟
المدعون المحترفون بالأخبار عن الأمور الغيبية :

و جملة القول : إن الذين يدعون الغيب ، أو يدعون الكشف
(المطلق الدائم) و منهم من يعلم طريق الاستخارة التي لا تخطئ
قط (١) و منهم من يستخرج الأخبار من تقويم النجوم ، أو الرمل ،
(١) أسرف الشيعة الامامية وبعض المدعين للتصوف في الاستخارة ++

و منهم من يستفتح بعلم الرمل ، و منهم من يطوف في الناس ،
 و في يده كتاب للبحث عن الغال ، فان كلهم كاذبون مزورون ،
 و يجب على المسلم الصادق أن يبتعد عنهم ، و لا يقع في شباكه .
 أما من لم يدع علم الغيب ، و لا يزعم أن له سلطاناً عليه ،
 بل يقول إن جل الأمر أنه قد يطلع على بعض الأشياء بحول الله
 تعالى ، و ليس ذلك في يدي و مكنتي ، و ليس لي أن أعلم
 ما أريده ؟ و متى أريده ؟ إنما هي لمحات و نفحات ، يجود الله بها
 على ، فانما يمكن ذلك ، و من الناس من يكون صادقاً في قوله ،
 و منهم من يكون مزوراً أو محترفاً .

نداء الأموات من بعيد أو قريب للدعاء إشراك في العلم :

و قال الله تعالى : « و من أضل ممن يدعو من دون الله من
 لا يستجيب له إلى يوم القيامة و هم عن دعائهم غافلون (٢) » ، و قد

♦♦ واتخذوا لها طرقاً مختلفة و يعتمدون عليها في توافه الأمور
 و الحركات و السكنات و يعتقدون أنها لا تخفى أبداً ، و إليهم
 أشار المؤلف ، أما الاستخارة المسنونة التي كان النبي ﷺ
 يعلمها أصحابه فهي من باب طلب الخير و هي نوع من الدعاء
 و الاستفتاح .

(٢) سورة الاحقاف الآية ٥ .

دلت هذه الآية على أن المشركين قد أمعنوا في السفاهة ، فقد عدلوا عن الله القادر العليم ، إلى أناس لا يسمعون دعاءهم ، وإن سمعوا ما استجابوا ، وهم لا يقدرُونَ على شئ ، فظهر من ذلك أن الذين يستغيثون بالصالحين الذين كانوا في الزمن السابق من بعيد ، وقد يكتفى بعض الناس فيقولون : يا سيدنا أدع الله لنا يقض حاجتنا ، و يظنون أنهم ما أشركوا ، فانهم ما طلبوا منهم قضاء الحاجة ، وإنما طلبوا منهم الدعاء (٢) وهذا باطل ، فانهم وإن

(١) قد شاع في الناس في العصور الأخيرة الاستمداد بأهل القبور و طلب الدعاء منهم ، و قد وسع فيه بعض المشايخ اعتماداً على أنه استفادة من روحانية القبور وسؤال منه للدعاء له ، و قد منعه المحققون من الفقهاء و الصوفية سدا للذريعة لأن الأمر دقيق و موهم و التمييز بين المقصود و غير المقصود صعب و عسير ، و يخشى على العامة أن يتورطوا بذلك في الشرك و الاستعانة بالموتى استقلالاً ، ولأن الأصل في الاسلام و المطلوب هو الاستعانة بالله و اللجوء إليه في غير الأمور الحسية و العادية .

وقد وقع هذا المحدث منذ زمن بعيد و أنكر عليه علماء العصر فقال العلامة الشيخ عبدالحق بن سيف الدين البخارى الدهلوى المحدث الفقيه الصوفى المتوفى سنة ١٠٥٢ هـ و هو ممن يرى التوسع في

لم يشركوا عن طريق طلب قضاء الحاجة ، فانهم أشركوا عن طريق النداء ، فقد ظنوا أنهم يسمعون نداءهم عن بعد ، كما يسمعون نداءهم عن قرب ، وكان ذلك سواءً في حقهم ، ولذلك نادوا من مكان بعيد ، مع أن الله سبحانه وتعالى قال : « وهم عن دعائهم غافلون (٢) » .

•• هذه المسائل ودافع في كتبه عن الاستمداد بأهل القبور : يقول رحمه الله في أشعة اللغات (حاشية المشكاة الفارسية) « نعم إذا اعتقد الزائرون في أهل القبور التصرف والاستبداد والقدرة استقلالاً من غير توجه إلى الله وتضرع إليه كما يعتقد العوام والجهال وأهل الغفلة ويباشرون الحرام والأعمال المنهية عنها في الدين من تقبيل القبر وسجود له والصلاة إليه وغير ذلك مما ورد النهي والتحذير عنه في الشرع فهو ممنوع وحرام واعتقاد فاسد ، (أشعة اللغات كتاب الجهاد قصة قتلى بدر) ويقول العلامة الشيخ عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي المتوفى ١٢٣٩ هـ : « قد أفرط الناس من هذه الأمة في باب الاستعانة بالأرواح الطيبة ، فما يفعله الجاهلة والعوام وما يعتقدون لها من استقلال في كل عمل فهو من غير شك شرك جلي » (مجموع فتاوى الشيخ عبد العزيز صفحة ١٢١)

(١) سورة الاحقاف الآية ٥ .

نفي القدرة المطلقة و الاستقلال
بعلم الغيب عن النبي ﷺ :

و قال الله تعالى : « قل لا أملك لنفسي نفعا و لا ضرا إلا ما شاء الله ، ولو كنت أعلم الغيب لاستكثرت من الخير وما مسنى السوء ، إن أنا إلا نذير وبشير لقوم يؤمنون (١) » .

وقد خاطب الله في هذه الآية سيد الانبياء ﷺ ، وهو الذى بهرت معجزاته ، ومنه تعلم الناس أسرار الدين ، وغواض الأمور ، واتباعه واقتفاء آثاره نال من نال الشرف عند الناس ، والمنزلة عند الله ، فأمره بأن يخبر الناس بخبره ، حتى يقيس به الناس غيره ، فإذا كان هو لا يقدر على شئ و لا يعلم الغيب ، فلا يملك لنفسه نفعا ولا ضرا ، وإذا كان يعلم الغيب عرف عواقب الأمور ، فإذا عرف عن أمر أنه يؤول إلى نجاح أقدم إليه ، وأقبل عليه ، وإذا عرف أنه لا خير فيه ، أمسك عنه وزهد فيه (٢) .

وقد نفي النبي ﷺ عن نفسه الشريفة القدرة المطلقة ، والعلم بالغيب ، إنما أكرمه الله بالرسالة ، وشرفه بالنبوة ، والنبي مكلف

(١) سورة الاعراف الآية ١٨٨ .

(٢) صح من قوله صلى الله عليه وسلم : « ولو أنى استقبلت من أمرى ما استدبرت ما سقت الهدى معى إلخ » (صحيح مسلم كتاب الحج ص ٣٩٠ ج ١ .

بالإنذار والتبشير لا غير ، ينذر على السيئات من سخط الله وعذابه ،
و يبشر الذين يعملون الصالحات أن لهم من الله أجراً حسناً ،
ولا ينفع الإنذار و التبشير إلا أهل الإيمان (١) ، و ليس من
شأن النبي أن يخلق الإيمان في قلوب الناس ، إنما هو فعل الله .
سر شرف الأنبياء ، و كرامة الأولياء ،
ليس في التصرف المطلق ، والعلم المستقل بالغيب :

و قد دلت هذه الآية على أن الأنبياء والأولياء ، إنما شرفهم
الله على الخلق ، و علت منزلتهم عند الله ، لأنهم يدعون الناس
إلى الله ، و يرشدون إلى طرائق الحق ، و لأنهم يعرفون ما هو
صالح الأعمال ، و ما هو فاسدها ، فيعلون الناس ذلك ، و ينفع
الله بكلامهم ، فينفذ في القلب ، ويهتدى الناس إلى الصراط المستقيم ،
و ليس شرفهم ، لأن الله سبحانه و تعالى منحهم قدرة التصرف
في العالم ، فيميتون من يشاؤون ، أو يرزقون من يشاؤون الأولاد ،
أو يفرجون الكرب ، و يكشفون الغم ، و يحققون أمانى الناس ،
و يقضون حاجاتهم ، و يجعلون من يشاؤون منتصراً أو منهزماً ،
أو غنياً أو فقيراً ، أو ملكاً أو أميراً ، أو وزيراً ، و ينتزعون

(١) يقول الله عز وجل : « إنما تنذر من اتبع الذكر وخشى الرحمن بالغيب فبشره
بمغفرة وأجر كريم » (سورة هود الآية ١١)

عن يشاؤون ملكاً أو إمارة ، أو يخلقون في قلب من يشاؤون
الايمان ، أو ينزعونه منه ، أو يشفون المريض ، أو يسلبون منه
الصحة ، قد تساوى في ذلك جميع العباد ، فكلهم عاجزون ضعفاء
لا يقدرّون على شئ .

و كذلك ليس شرفهم ، و لا يمتازون عن الناس بأن الله
سبحانه و تعالى مكنتهم من علم الغيب ، و بسط لهم فيه ، فيطلعون
على خواطر النفوس متى شاؤا ، و يطلعون على شؤون من غاب
إذا شاؤا ، فيعرفون هل هو حي أم مات ، و في أى مدينة هو ،
و ما تكنته من أحوال ، و ما يتقلب فيه من نعيم أو يؤس ،
و يعرفون ما هو كائن غداً ، فيعرفون أن فلاناً سيرزق ولداً ،
و فلاناً لا يولد له ، و فلاناً يربح في التجارة أو يخسر ، و هل
يقدر لفلان الانتصار في الحرب ، أو سياتى الهزيمة ، فقد تساوى في
ذلك جميع العباد كبارهم و صغارهم ، هم عن ذلك في عمي ، إلا
ما ينقل عن بعض العقلاء شئ من الحدس ، أو تقدير مصدره قرائن
أو العقل السليم ، فيتفق ذلك مع الواقع ، كذلك هؤلاء السادة
و العظماء قد يحكمون على شئ بعقل أو قرينة ، فيتحقق في بعض
الاحيان ، ويتخلف في بعض الاحيان ، أما ما كان عن طريق الوحي
و الالهام ، فهو لا يقاس على ذلك ، و لا يتطرق إليه خطأ ،

و لا ترتقى إليه شبهة .

استنكار النبي ﷺ لنفسه علم الغيب
إليه ، حتى في الشعر :

أخرج البخارى عن الربيع بنت معوذ بن عفراء ، قالت : جاء
النبي ﷺ فدخل حين بنى على ، فجلس على فراشي كمجلسك منى ،
فجعلت جوهرات لنا يضررن بالدف ، ويندبن من قتل من آبائي
يوم بدر ، إذ قالت إحداهن ، « وفينا نبى يعلم ما فى غد » فقال :
دعى هذه ، و قولى بالذى كنت تقولين .

وقد دل هذا الحديث على أنه لا يصح أن يعتقد الانسان
فى نبى أو ولى ، و إمام أو شهيد ، أنه يعلم الغيب ، حتى لا يصح
هذا الاعتقاد فى حضرة الرسول صلوات الله و سلامه عليه ،
و لا يصح أن يمدح بذلك فى شعر أو كلام ، أو خطبة ، أما
ما اعتاده الشعراء من المبالغة و الاسراف فى مدح الرسول ﷺ
أو غيره من الانبياء و الاولياء ، و الصالحاء و المشايخ ، أو الاساتذة ،
فتخطوا فى ذلك حدود الشرع ، و نعتوم فى بعض الاحيان بما يلىق
بالله تعالى ، فاذا عورضوا قالوا : إن الشعر جماله المبالغة ، و كل
شعر تجرد عن المبالغة فهو بالثر أشبه منه بالشعر ، ولكن لا يصح
هذا الاعتذار ، فان النبي ﷺ نهى جوارى الانصار عن أن ينشدن

شعراً نسب إليه فيه علم الغيب ، فما ظلك بعقل يقول مثل هذا
الشعر أو يستحسنه ؟

أخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها قالت : من أخبرك
أن محمداً ﷺ يعلم الخس التى قال الله تعالى : « إن الله عنده علم
الساعة (١) » ، فقد أعظم الفرية .

و هذه الخس هى التى ذكرها الله فى آخر سورة لقمان ،
فقال : « إن الله عنده علم الساعة و ينزل الغيث ، و يعلم ما فى
الارحام ، و ما تدرى نفس ماذا تكسب غداً ، و ما تدرى نفس
بأى أرض تموت ، إن الله عليم خير (٢) » .

أخرج البخارى عن أم العلاء قالت : قال رسول الله ﷺ :
« والله لا أدرى و أنا رسول الله ما يفعل بى و لا بكم .

و دل الحديث على أن النبى أو الولى لا يعرفان من حالهما ،
و من أحوال غيرهما الغيبة إلا ما أطلعهما الله عليه عن طريق الوحي
أو الإلهام ، و أخبرهما بأن الأمر الفلانى سيؤول إلى نجاح ، وأن
الأمر الفلانى سيؤول إلى إخفاق ، وهذا شئ بجمل ، ليس يدهما
أن يطلعا على أكثر من ذلك ، أو يعرفوه مفصلاً ،

(١) (٢) سورة لقمان الآية ٣٤ .

الفصل الثالث

في رد الاشراك في التصرف

إطباق أهل كل عصر على إثبات القدرة
المطلقة ، و القوة القاهرة لله تعالى :

قال الله تعالى : « قل من يئده ملكوت كل شئى ، و هو
يحير و لا يحار عايه إن كنتم تعلمون ، سيقولون لله ، قل فأتى
سحرون (١) ، .

فاذا ثبت كما نطقت به الآية أن العقول السليمة ، و الفطر
المستقيمة قد أجمعت على إثبات القدرة المطلقة التى ليست فوقها
قدرة ، و التصرف الحر الذى لا يزاحمه تصرف ، و الأمر القاهر
الذى لا ينسخه أمر ، و ليس له استئناف و لا مرافعة ، و لا
تعديل و لا معارضة لله تعالى ، فن والاه وتولاه ، فليس لأحد
فى الدنيا أن يعتدى عليه ، أو يمسه بسوء ، و من عاداه و سخط

(١) سورة المؤمنون ٨٨ — ٨٩ .

عليه ، فليس لأحد في الدنيا أن يحميه أو يدافع عنه ، و إذا سئل
أشد الناس إمعاناً في الجهالة أو الجاهلية عن ذلك ، كان جوابه كما
ذكره القرآن بالحرف الواحد ، و لم يسعه إلا أن يجيب بأن الله
هو المتفرد بهذه القدرة المطلقة ، و التصرف المطلق ، و الأمر
القاهر الذى ليس فوقه أمر ، فإذا كان الأمر كذلك ، كان طلب
قضاء الحاجات من غير الله ضرباً من الخيال ، و طلباً للحال .

عقيدة أهل الجاهلية في الله ،

و حقيقة شركهم :

و قد تحقق من هذه الآية الكريمة أن الكفار في عهد
الرسول ﷺ لم يكونوا يرون لله عديلاً يساويه في الألوهية والقدرة ،
و في الخلق ، و لكنهم كانوا يعتقدون أن آلهتهم و الأصنام
التي كانوا يعبدونها ، هم وكلاؤهم عند الله ، و بذلك كفروا ، فمن
أثبت في عصرنا هذا لمخلوق التصرف في العالم ، و اعتقد أنه
وكيله عند الله ، ثبت عليه الشرك ، و لو لم يعدله بالله ، ولم يثبت
له قدرة تساوى قدرة الله .

تحذير المسلمين عن تقليد المشركين

في نبيهم و أولياء أمتهم :

قال الله تعالى : « قل إني لا أملك لكم ضرراً و لا رشداً ،

قل إني لن يحيرني من الله أحد وإن أجد من دونه ملتحداً (١) ،
وقد حذر الله في هذه الآية المسلمين من أمة محمد ﷺ من
أن تغرم نفوسهم فيقولوا : « إن نبينا ﷺ له دالة عند الله ،
يضر و ينفع ، و يدفع و يمنع ، و يفعل ما يشاء ، و نحن في
أمته ، فنحن نأوى إلى ركن شديد ، و حرز حرز ، فان وكلنا
عند الله ، و شفيعنا إليه ، من الله بمكان ليس لأحد ، فلاخوف علينا
ولا خطر ، و بذلك يسترسلون في الخيال ، و يتوسعون في الأمانى
و يستخفون بالعمل ، ولذلك أمر الله نبيه بأن يخبر الناس أنه لا يملك لهم
ضراً ولا رشداً ، وأنه - وهو سيد الأنبياء - لن يحيره من الله أحد ،
فكيف يستطيع أن يحيرهم من الله ، و يمنعهم من عذاب الله و عتابه ؟
و بذلك ظهر ضلال أولئك العامة ، و الغوغاء من الناس
الذين ينسون الله ، و يستخفون بأحكامه ، معتمدين على نصره
المشايخ و الشهداء ، فإذا كان نبي الله ﷺ يخاف الله ، و لا يرى
له ملجأ إلا رحمة الله ، فكيف بمن دونه من أفراد أمة ، و أتباعه ؟
عجز الأنبياء و خواص الأمة عن التصرف في العالم :

و قال الله تعالى : « و يعبدون من دون الله ما لا يملك
لهم رزقاً من السماوات و الأرض شيئاً و لا يستطيعون (٢) » ،
يقول بعض العامة أن الأنبياء ، و الأولياء ، و الأئمة ،

(١) سورة الجن ٢١ — ٢٢ . (٢) سورة النحل الآية ٧٣ .

و الشهداء يقدرّون على التصرف في العالم ، و لكنهم راضون
بقضاء الله وقدره ، قد أدبوا نفوسهم و ألجئوها ، فتواضعوا لعظمة
الله تعالى ، و إلا إذا شاؤوا قلبوا هذا العالم رأساً على عقب ،
و لكنهم أمسكوا عن ذلك تظليماً للشرع ، و أدباً معه ، و قد
نفت هذه الآية هذا الزعم ، فبينت عجزهم و ضعفهم ، و أنهم لا
يملكون للناس رزقاً من السماوات و الأرض ، فليس لهم سلطان
على الأمطار ، و لا على السحاب و الريح ، و ليس لهم سلطان
على الأرض فتخرج زهرتها ، و تلفظ خزائنها ، و إن كل ذلك
في قدرة الله و قبضته .

و قال الله تعالى : « و لا تدع من دون الله ما لا ينفعك
و لا يضرك ، فإن فعلت فانك إذاً من الظالمين (١) » .
و من السفاهة و الظلم أن يعطى الانسان العاجز الضعيف ما
كان من حق القادر القوى ، و يعاملها معاملة سواء .

عادات الملوك والأمراء في قبول الشفاعة ،
و أنواع الشفعاء ، و أهل الوجاهة :

و قال الله تعالى : « قل ادعوا الذين زعمتم من دون الله
لا يملكون مثقال ذرة في السماوات و لا في الأرض ، و ما لهم

(١) سورة يونس الآية ١٠٦ .

ففيها من شرك ، و ما له منهم من ظهير ، ولا تنفع الشفاعة عنده
إلا لمن أذن له حتى إذا نزع عن قلوبهم ، قالوا ماذا قال ربكم .
قالوا الحق ، و هو العلي الكبير (١) .

قد جرت العادة أن من يتقضى حاجة من يستهرخه ،
و يغثه ، إما يكون سيداً وصاحب الأمر ، وإما يكون شريكاً ،
له سلطان عليه ، أو دالة عنده ، فلوك الأرض ينزلون عند رغبة
أمرائهم ، ويحققون طلبهم ، فأنهم أعوانهم ، ودعائم ملكهم ، فإذا
سخطوا أو حقدوا عليهم تزلزل ملكهم ، و اضطرب أمرهم ، وإما
أن يشفع إلى الملك أحد المقربين إليه ، والذين لهم حظوة عنده ،
فيحقق رغبتهم طوعاً و كرهاً ، و قد يفعل ذلك من غير رضا
و طوعية نفس ، شأن بنت من بنات الملك المدللة ، أو إحدى
زوجاته الخفيات ، فلا يستطيع الملك أن يرفض شفاعتها فيقبلها .
لا يقاس الله سبحانه و تعالى على ملوك الدنيا في
قبول الشفاعات ، وإرضاء أهل الوجاهة والنفوذ :

أما أولئك الذين يستغيث بهم هؤلاء الجبال ، ويطلبون منهم
قضاء حاجاتهم ، فلا يملكون حبة من شعير ، و لا شيئاً من قير
أو قطمير في السماوات والأرض ، وما لهم فيها من شرك ، وليسوا

(١) سورة سبأ الآيات ٢٢ - ٢٣ .

من دعائهم ملك الله ، و لا عضده الايمن ، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ، حتى يقبل شفاعتهم اضطراراً و استسلاماً ، إنهم لا يملكون أن يشفعوا إلا بأذنه ، و لا يستطيعون أن يحققوا رغبات المستشفعين بقوة أو قهر ، بل بالعكس من ذلك قد بلغ بهم العجز و الفقر إلى أنه إذا توجه إليهم أمر من الله أخذتهم المهابة و فقدوا رشدهم ، و يمنعهم الأدب و الفزع عن مراجعة الله ، و استيضاح ما خوطبوا به و أمروا ، بل أقبل بعضهم على بعض يتساملون عن الحقيقة ، فاذا تبين لهم الأمر ، ما زادوا على أن يقولوا : آمنا و صدقنا ، فضلا عن معارضة الملك القاهر ، و عن الدفاع عن أحد ، أو الادلاء بدليل أو برهان .

أنواع الشفاعة التي لا مجال لها عند الله :

و هنا يحسن التفتن لنكتة دقيقة ، و التأمل فيها ، وهي أن كثيراً من الناس قد اعتمدوا على شفاعة الأنبياء ، و الأولياء اعتماداً زائداً ، وقد أساءوا فهم معنى الشفاعة ، فآدى ذلك إلى تناسي الله عز و جل ، و التشاغل عنه بخلقه ، فلتعرف حقيقة الشفاعة في ضوء نصوص الكتاب و السنة ، و ما أثبتته الشريعة الاسلامية .

[لقد تعود الملوك ، و الأمراء ، و رجال الدنيا أنواعاً من الشفاعة ، يلجئون إليها عند الضرورة لمصالحهم الشخصية ، أو مصلحة

من مصالح البلاد و الرعية ، نذكرها أولا ، حتى يعرف القارىء
الفطن الفرق بين هذه الأنواع من الشفاعة ، و بين الشفاعة التى
أثبتها القرآن ، و بحددها قنين الأشياء [

منها أن رجلا تحققت عليه السرقة ، فشفع له أمير ، أو وزير
إلى الملك ، فأطلقه الملك و صفع عنه ، و لذلك أسباب :
منها أن الملك يريد أن يعاقب السارق ، والقانون يأمر
بذلك ، و هو يستحق العقوبة ، و لكن الملك عدل عن رغبته ،
و صفع عن جريمة هذا المجرم ، لأن هذا الأمير هو دعامة قوية
من دعائم ملكه ، و هو جمال مملكته ، و زينة بلاده فيعرف الملك
أن الأفضل فى هذا المقام أن يملك نفسه و يقهر غضبه ، و يصفح
عن فرد ارتكب جريمة السرقة ، فانه إذا أسخط هذا الأمير ورفض
طلبه ، اختلت الأمور ، و استشرى الفساد فى مملكته ، و فقدت
الشيئ الكثير من بهائها و مهابتها ، و هذا النوع من الشفاعة يسمى
شفاعة الوجاهة ، و معلوم أنه لا مساغ لهذا النوع من الشفاعة
عند الله ، و لا مجال له ، فمن رجا من نبي أو ولي ، أو إمام
أو شهيد ، أو ملك أو شيخ مثل هذه الشفاعة ، و نظر إليه كشفيع
تقبل شفاعته لا محالة اعظم جاهه ، و علو منزلته ، فقد أوغل فى
الشرك و الجهالة ، فانه لم يقدر الله قدره ، و ما شم رائحة العلم

و المعركة ، فان الله هو رب الارباب ، و ملك الملوك ، قد وسع
كرسيه السماوات و الارض ، و إنه يقدر أن يخلق بمجرد الأمر ،
و كلمة • كن ، آلافاً مؤلفة من الانبياء و الاولياء ، و الجن
و الملائكة ، كأول ملك ، و أول نبي ، فلا أفضل في الملائكة من
جبريل ، و لا أفضل من الانبياء من محمد ﷺ ، و إذا شاء قلب
هذا العالم رأساً على عقب ، و من الثريا إلى الثرى (١) ، و أنشأ

(١) و قد خضع أمام هذه العظمة و الجبروت والغنى عن الحق
أجمعين ، كبار الاولياء و العارفين ، فأبدوا ذهولهم و خشيتهم
أمام هذه الارادة القاهرة ، و من العارفين المحقق الكبير
شيخ مشايخ الهند الشيخ شرف الدين يحيى المنيرى البهارى ،
المتوفى سنة ٥٧٧٢ هـ ، فيقول فى إحدى رسائله التى كتبها إلى
أحد أصحابه :

يا أخى ! نحن أمام جبار قهار ، و هو القوى القادر
على أن يحول الجنة ناراً و عذاباً ، و النار جنة و نعيماً ،
و برداً و سلاماً ، يخرج الكنيسة من الكعبة ، و الكعبة
من الكنيسة ، فكيف تعيش آمناً مطمئناً ، و كيف لا تنقطع
كبدك و يذوب قلبك خوفاً و وجلاً ، كن حذراً خائفاً فى
كل حين ، حتى لا تظهر يد القدرة الالهية التى لا تقبذ بالملل
و الاسباب من ستار الغيب فتحير الالباب ، إن قهره لا ينقيد ••

طاماً جديداً مكان هذا العالم ، لأن كل شئ يظهر إلى الوجود بمجرد أمره ، لا يحتاج في ايجاد شئ ، أو تحقيق أمر إلى الأسباب والوسائل ، أو المواد الأولية ، و إذا كانت جميع الخلق أولهم و آخرهم ، و إنسيهم و جنهم على قلب أفضل ملك ، أو أفضل نبي ، ما زاد ذلك في ملكه و بهائه ، و إذا كانوا كلهم على هيئة شيطان ، أو دجال لم ينقص ذلك من بهاء ملكه ، فهو في كل حال أعظم من كل عظيم ، و قاهر الملوك و السلاطين لا يصيبه أحد بنفع و لا ضرر ، أو زيادة و نقص (١) .

++ بسبب ، كما أن لطفه لا يتقيد بعلة ، إن لطفه و كرمه يطلب عاصباً ليغسله و يطهره بماء الغفر و المغفرة حتى تفجر ينابيع هذا العطف من قلبه ، و يفيض به صدره ، كما يطلب قهره بعض الأحيان تقياً صالحاً ليسود وجهه بدخان الحجر و الفراق ، و تار النعمة و السخط ، حتى يتحقق و يتبين للعالمين أنه تعالى شأنه غنى عن الأسباب ، إنه يأتي بالشي من بطن الشق قارة ، و يخرج الشق من أصلب النى تارة أخرى .

(١) أخرج مسلم بسنده عن أبي ذر قال : قال رسول الله ﷺ في ما يروى عن الله تبارك و تعالى : يا عبادي إنكم لن تبلغوا ضرى فتضروني ، و لن تبلغوا نفعي فتنفعوني ، يا عبادي ★

و النوع الثانى أن يقوم أحد من أبناء الملك ، أو عقيلاته ، أو زوجاته ، أو من أولع بحبه الملك ، بشفاعة هذا السارق ، و يحول دونه و دون تنفيذ العقوبة إرهاباً ، أو إجلالاً ، فيضطر الملك إلى العفو عن هذا المجرم ، بدافع من حب هذا الشافع و غرامه ، و هذا يسمى شفاعة المحبة ، فان هذا الملك رأى أن كظم الغيظ فى هذا المحل ، و العفو عن مجرم واحد خير مما يصيبه من الكمد ، و الكدابة التى تحيط به ، و تكدر صفو حياته ، إذا سخط عليه هذا المحبوب أو الحظي ، وعانبه ، و أعرض عنه ،

★ لو أن أولكم وآخركم ، و إنسكم و جنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ، ما زادوا ذلك فى ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم و آخركم ، و إنسكم و جنكم كانوا على أفجر قلب رجل واحد منكم ، ما نقص ذلك من ملكى شيئاً ، يا عبادى لو أن أولكم و آخركم ، و إنسكم و جنكم قاموا فى صعيد واحد ، فسألوني ، فأعطيت كل إنسان مسألته ، ما نقص ذلك مما عندى ، إلا كما ينقص الخيط إذا أدخل البحر ، يا عبادى إنما هى أعمالكم أحصيها عليكم ، ثم أوفيكم إياها ، فمن وجد خيراً فليحمد الله ، و من وجد غير ذلك فلا يلومن إلا نفسه .

ففضل هذا الاستثناء ، و غرض الطرف عن هذا الجاني الناقض
للقانون ، على تنقص الحياة ، وكدر العيش ، وقلق النفس .

و من المعلوم أنه لا مجال لهذا النوع ، كذلك في جنبه ،
و من ظن بأحد أنه شفيع عند الله من هذا النوع ، فقد أشبه
الأول في الشرك و الجهالة ، فإن الله سبحانه و تعالى مهما خص
عبداً من عبادہ بنعمه و حبه ، و اجتنائه ، و لقب أحداً بالحبيب ،
و آخر بالخليل ، و ثالثاً بالكليم ، و رابعاً بروح الله و الوجهه ،
و وصف بعض الملائكة بأنه « رسول كريم (١) » ، و « مكين (٢) » ،
و « روح القدس (٣) » ، أو « الروح الأمين (٤) » ، ولكن السيد ،
هو السيد ، و العبد ، هو العبد ، و لا يستطيع عبد أن يتخطى
العبودية ، و يتعالى على ما قدر له ، و وسم به من ذل الرق ،

(١) (٢) (٣) (٤) قال الله تعالى في سورة التكوير : « إنه
لقول رسول كريم ، ذى قوة عند ذى العرش مكين ، مطاع
ثم أمين » ، و قد ذهب المفسرون إلى أن المراد به جبريل
عليه السلام ، و قال في سورة الشعراء : « نزل به الروح
الأمين ، على قلبك لتكون من المنذرين » ، و قال في سورة
البقرة : « وأيدناه بروح القدس » ، وقال في سورة المائدة :
« و إذ أيدتك بروح القدس » ، والمراد بكل ذلك جبريل .

و سببا العبودية ، فكما أنه يخضع لسيده طائعا مسرورا ، و هو يعطف عليه ، ويغمره برحمته ، كذلك ينخاع قلبه ، وتنفطر مرارة كبده من هيئته و جلاله (١) .

(١) و قد عبر العارف الكبير ، و المربي الجليل الشيخ شرف الدين يحيى المنيرى عن العظمة الالهية ، والتصرف المطلق في خلقه ، فيفعل و لا يبالي ، و يتصرف ولا يسأل ، و الألسنة مقطوعة ، و الأفواه مكومة ، فجاء في إحدى رسائله التى وجهها إلى تلاميذه ، ما يتصدع منه الفؤاد ، و تقشعر له الجلود ، يقول رحمه الله :

« إنه يفعل ما يشاء لا يبالي بهلاك أحد أرواحه ، أنظر كيف يموت واحد منهم عطشا فى الصحراء ، و يقول : الأنهار تجري من تحتى ، و أنا أموت ظمأ ، و لا أصيب منها قطرة ، فيناديه هاتف الغيب ، ويقول : إنا نأى بآلاف من الصديقين إلى غابة موحشة مظلمة ، و صحراء قاحلة مجربة ، ثم نقتلهم جميعا ، بسيف قدرتنا و مشيئتنا ، حتى ينال بعض الغربان و النسور راتبها و وجبتها من غيرهم و خدودهم ، فاذا أراد أحد أن يتكلم ، ختمنا على لسانه ، و قلنا « لا يسئل عما يفعل » ، إن هذه الطيور لنا ، و الصديقين لنا ، فمن هذا الفضولى الذى يدخل فيما لا يعينه و ينتقد فعلنا ،

و النوع الثالث أن السارق تمحقت عليه الجريمة ، و لكنه ليس مجرمًا عادياً ، و لم يتخذ السرقة ديدناً وحرقة ، و لكنه ارتكب هذه الجريمة بنزوة من نزوات النفس ، فهو نادم على فعلته ، و هو وجل خجل يحل بقانون ملكه ، و يعتبر نفسه مخطئاً يستحق العقوبة ، إنه لا يلوذ بكيف أمير ، و وزير هرباً من ملك ، ولا يدل بنصرة أحد ، و لا يعتمد عليها ، إن عينه شاخصة إلى الملك ، و إن آماله منوطة به لا غير ، يتطلع إلى ما يصدر من الملك في أمره ، و إلى ما يأمر به ، فلما رآه الملك بهذه الحال من القلق ، و انقطاع الآمال ، و التقلب بين الخوف و الرجاء رق له قلبه ، و رثى لحاله ، و لكنه يعرف أنه إذا صفح عن جريمته من غير سبب ، تطرق الوهن إلى قانونه ، و نظام مملكته ، و استخف الناس بهذا القانون ، و زالت عنهم مهابة ، فأوعز إلى أمير أو وزير ، فقام بشفاعته عنده ، و أبدى الملك أنه يريد أن يكرم هذا الأمير بقبول شفاعته ، فعفا عن هذا السارق متمسكاً بشفاعته هذا الأمير ، و الظاهر أن هذا الأمير لم يشفع لهذا السارق ، لأنه يتصل به بنسب أو صداقة ، أو أنه تكفل بنصرته ، و لكنه شفع له ، لأنه اطاع على رغبة الملك ، و هو أمير من أمراء هذا الملك ، ليس خدماً

للصوص ، حتى يتولى نصرتهم و يستقل بشفاعتهم ، فانه إذا فعل ذلك دخل في زميرهم ، و شكك في نزاهته و شرفه ، و أساء إلى نفسه ، و هذا النوع من الشفاعة يسمى « الشفاعة بالاذن » .

فلنعلم أنها هي الشفاعة المأذونة الممكنة ، وكل شفاعة يتحدث عنها القرآن و الحديث ، فهي هذه الشفاعة المأذون لها ، فيجب على الانسان ان يظل داعياً لله تعالى ، مشفقاً منه ، مستغنياً به ، مقرأً بذنوبه بين يديه ، مؤمناً بأنه ربه و ناصره ، لا يعرف له — إذا سرح طرفه ، و أرسل خياله — ملجأ ولا ملاذاً إلا الله ، فلا يعتمد على نصره سواه ، فانه غفور رحيم ، سيفرج الكرب ، و يكشف الغمم بفضله ، و يغفر الذنوب جميعاً برحمته ، و يأمن من يشاء بشفاعته ، فكما أنه يجب أن يكل إليه جميع حاجاته و مأربه ، يتحتم عليه أن يكل إليه أمر نصرته و شفاعته ، يختار لها من يشاء ، و يأمن بها من يشاء ، عوضاً عن أن يبحث له عن شفيع ومدافع ، و ذاب و مانع ، فيعتمد عليه اعتماداً ينسبه الاعتماد على الله ، و يشغله عنه ، و يستهين بأحكام الشريعة ، و يتخذ ما يدعو إليه هذا الشفيع أو الوكيل من طريق ، وما يسلكه من سبيل ، شرعية و منهاجاً ، ويفضلها على دين الله ، و شريعة رسوله ، و سنة نبيه ، فانها سبية و عار ، تبرأ منه جميع الانبياء و الاولياء ، و مقتوها ،

و هم لا يشفعون لمن تلبس بهذا ، بل يسخطون عليه و يعادونه ؛
لأن سر كرامتهم ، و مناط شرفهم ، أنهم كانوا يؤثرون مرضاة الله
على مرضاة أزواجهم ، و أولادهم ، و تلاميذهم ، و أنبايعهم من
عبيد و خدم ، و أجرة و أصحاب ، فإذا عارض منهم أحد أمراً
من أوامر الله تعالى ، أو حارب الله و رسوله ، عادوه و حاربوه ،
و ما ظنك هؤلاء العامة الذين لا يتصلون بنسب أو صداقة ، أو
حب ، حتى يقوم هؤلاء بنصرهم ، و يحاجوا الله فيهم ، و يكونوا
للخائنين خصيماً ، بل الأمر بالضد ، فالحب لله ، والبغض لله ، قلب
أصبح لهم شعاراً و دثاراً ، فإذا قضى الله بإدخال هؤلاء المجرمين
في النار وافقوا الله في أمره ، وسعوا في سرعة وصولهم إلى قعر
جهنم ، و تنافسوا في الاعانة على ذلك .

لا داعي إلى الاعتصام بغير الله ،
و طلب حمايته ، خلافاً لللوك والأمراء :

أخرج الترمذي عن ابن عباس رضي الله عنه ، قال كنت
خلف رسول الله ﷺ يوماً ، فقال يا غلام احفظ الله يحفظك ،
احفظ الله تجده تجاهك ، و إذا سألت فاسأل الله ، و إذا استعنت
فاستعن بالله ، و اعلم أن الأمة لو اجتمعت على أن ينفعوك بشئ
لم ينفعوك إلا بشئ قد كتبه الله لك ، و لو اجتمعوا على أن يضروك

بشيء لم يضروك إلا بشيء قد كتبه الله عليك ، رفعت الأقلام ،
و جفت الصحف .

و معنى الحديث أن الله سبحانه و تعالى و إن كان ملك
الملوك ، ليس شأنه شأن الملوك ، الذين يأخذهم السفه ، و يميل
هم إليه ، فلا يرقون لملوك ، و لا يعطفون عليه ، و إن بالغ
في التضرع والاستغاثة ، لذلك لجأ كثير من رعية الملوك ، وأهل
ملكهم إلى الأمراء ، فتوسلوا بهم عند هؤلاء الملوك ، و تمسكوا
بأهدابهم ، ولاذوا بحمامهم ليميلوا إليهم ، ويشملوهم بعطفهم ، ويعفوا
عن خطاياهم ، تحقيقاً لرغبة هؤلاء الشفعاء ، أو وجادة أوائك
الأمراء و العظماء ، بل هو في منتهى الكرم و الرحمة ، لا ينسى
أحدًا ، ولا يغفل عن أحد ، شفع شفيع ، أو لم يشفع ، وليس
له مجلس كمجالس الملوك ، أو ملائكة كملائكة السلاطين ، ليس لأحد من
السوقة والرعية قدم في مجالسهم ، أو مجال لنفوذهم ، فيباشر الحكم
على هؤلاء المحكومين أمير أو وزير في غالب الأحيان ، و يضطر
للدهاء إلى الخضوع لهم ، وحضور مجالسهم ، و التودد إليهم .

بل إن الله أقرب إلى عبده من حبل الوريد ، فمن أقبل عليه بقلبه ،
أقبل عليه بعطفه ، ووجده تجاه نفسه ، ليس بينه وبين ربه حجاب
إلا الغفلة والجهالة ، فمن بعد عنه بعد بغفلة ، و من حرم رحمته

حرم بجهالته ومعصيته ، و هو أقرب من كل قريب ، ألا يعرف من دعا شيخاً ، أو نبياً ، و ناداهما لنصرته ، و ليقرباه إلى الله زافى ، أن الشيخ و النبي بعيدان عنه ، و الله قريب منه ، و مثله مثل رجل جالس وحده عند الملك ، و قد أقبل عليه الملك يسمع طلبه ، و ما يبيده من حاجة أو رغبة ، فانصرف هذا الرجل الجاهل عن الملك ، و بدأ ينادى أميراً و وزيراً ، و هما بعيدان ، و سألهما أن يلبغا حاجة هذا الرجل إلى هذا الملك العظيم ، و هو لا يخلو عن حالين : إما هو أعمى ، و إما مجنون .

و قد أمر النبي ﷺ في هذا الحديث بأنه إذا سنحت له حاجة اضطر إلى السؤال فليسأل الله ، وأنه إذا كان في حاجة إلى إعانة ، أو إغاثة فليستعن بالله ، و أنه قد رفعت الأقلام ، وجفت الصحف ، فلا ماحى لما أثبتته الله ، ولا مثبت لما محاه الله ، وأن القضاء واقع ، و الأمر محتوم ، وإن اجتمع الناس كلهم صغيرهم و كبيرهم على أن ينفعوا أحداً ، أو يضروه ، لم يجاوز ذلك قدر الله .

الصالحون من عباد الله لا يملكون
إلا الدعاء و السؤال من الله :

و قد ثبت من هذا الحديث أن ما يعتقده كثير من الجهمية

و الغوا ، أن الله سبحانه و تعالى قد أذن للأولياء أن يغيروا
 قضاء الله وقدره ، فرب رجل لم يرزقه الله ولداً ، يرزقه هؤلاء
 الأولياء أولاداً ، و رب رجل انتهى أجله ، و حضرته الوفاة ،
 زادوا في عمره ؟ و هذا كله باطل ، إن الحقيقة أن الله قد
 يقبل دعاء عباده ، و قد لا يقبل ، و يمتاز الانبياء و الأولياء
 عن عامة الناس بأن أكثر دعواتهم مقبولة ، و هم مستجابون في
 الدعاء ، و لكن التوفيق بيد الله فيلهمهم الدعاء و يقبل منهم ،
 و الدعاء و الاستجابة كلاهما مقدران ، قد جرى بهما قلم القضاء ،
 و لا يقع في العالم شئ إلا و مضى به علم الله ، و جرى به القلم ،
 فلا يخرج شئ من دائرة القضاء و القدر ، و لا يقدر أحد على
 عمل إلا ما قدر في علم الله ، و لا يملك نبى أو ولى ، إلا أن
 يسأل الله و يدعو ، لا حيلة له و لا سبيل إلا هذا السؤال
 و الدعاء ، و إذا شاء أجاب سؤله ، و قضى حاجته ، وإذا شاء
 منعه لحكمة يعلمها .

المؤمن الموحد رابط الجأش ناعم البال ،
 وضعيف العقيدة مشتت الفكر موزع النفس :

أخرج ابن ماجه عن عمرو بن العاص قال قال رسول الله
 ﷺ إن لقلب ابن آدم لكل واد شعبة ، فمن أتبع قلبه الشعب كلها

لم يبال الله بأى واد أهلكه ، و من توكل على الله كفاه الشعب .
و من المشاهد أن الانسان إذا تعلق قلبه بشئ و استحوذ
عليه ، أو ألت به مله فلم تفرج ، تشتت فكره ، و ذهب في
طلب الغوث كل مذهب ، و هام في كل واد ، و قد تسول له
نفسه أن يستصرخ النبي الفلاني ، وقد تزين له أن ينادى فلاناً من
الأئمة ، و قد يحول بخاطره أن ينذر لفلان من المشايخ ، و كذا
من الشهداء ، أو يخضع لجنية فلانية ، أو يرجع إلى المنجم الفلاني ،
أو الرمال الفلاني ، و قد تحدثه نفسه بأن يراجع سادناً ، أو
إماماً من أئمة المساجد الذين اتخذوا هذه الأمور حرقه ، فيطلبون
أن يبحث عن الفال في كتاب ، و من هام في كل واد ، و اتبع
كل ناعق ، صرف الله عنه عنايته و أخرجه من عباده الصادقين ،
و أخطأ طريق الترية و الهداية الربانية ، و ظل يهيم في هذه
الآودية ، و يته في مهامه الآوهم والأحلام إلى أن يتلف ويهلك ،
فمنهم من تمذهب بمذهب الدهريين ، و منهم من سلك مسلك
الملحدين ، و منهم من دخل في غمار المشركين ، و منهم من ابتلى
بالسفسطة .

و أما من توكل على الله ، و لم تنشعب به المذاهب عده الله
في عباده المقبولين ، و فتح الله عليه طريق الهداية ، و هدى قلبه ،

فأذاقه حلاوة الايمان ، و غشيته غاشية من السكينة ، و رزق من اجتماع الخاطر و رباطة الجأش ، و برد اليقين ، و هدوء النفس مالا سبيل إليه لمن تشنت فكره ، و تفرق هواه ، ثم إنه لا يخفئه ما قدر له و قسم ، و لكن ضعيف العقيدة متشتت البال يعانى الحزن و القلق من غير جدوى ، و المؤمن المتوكل ، الموحد ينعم بالهدوء ، و الطمأنينة و السكينة .

إن الله يرجع إليه فى صغير و كبير ، وإنه ليس كملوك الدنيا فى تدبير المملكة ، و الاستعانة بالحاشية :

أخرج الترمذى عن أنس رضى الله عنه قال ، قال رسول الله ﷺ : ليسأل أحكم ربه حاجته كلها حتى يسأل الملح ، وحتى يسأله شسع نعله إذا انقطع .

و معنى ذلك أن الله عز و جل و علا لا يتأس على ملوك الدنيا ، فانهم يباشرون الأمور الخطيرة و يتولونها بأنفسهم ، أما الأمور النافهة فيكونونها إلى الخدم الموظفين ، فليجأ الناس إليهم فى هذه الأمور التى ليست ذات خطر و شأن ، وليس الأمر كذلك فيما يختص بالله تعالى ، فانه هو القادر المطلق الذى يقدر على أن يصالح ما دق و جل من الأمور ، وإن كانت فى عددها وانتشارها كنجوم السماء ، ورمال الدهناء ، وليس لأحد تصرف فى مملكته ،

فيحب أن يطلب منه التافه كما يجب أن يطلب منه الأمر الجليل ،
و العطاء الجزيل ، لأن أحداً لا يملك شيئاً سوا آ الصغير منه
و الكبير ، و الدقيق و الجليل .

تحذير النبي ﷺ لأهل قرابته من الاعتماد على
نسب و قرابة ، و الاستغناء بهما عن العمل :

و أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال لما نزلت « و أُنذِرْ
عشيرتك الأقربين (١) » ، دعا النبي ﷺ قرابته ، فعم و خص ،
فقال يا بني كعب بن لؤى أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أملك
لكم من الله شيئاً ، أو قال فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً و يا
بني مرة بن كعب أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أغني عنكم من
الله شيئاً ، و يا بني عبد شمس أنقذوا أنفسكم من النار فإني لا أغني عنكم
من الله شيئاً ، و يا بني عبد مناف أنقذوا أنفسكم من النار فإني
لا أغني عنكم من الله شيئاً ، و يا بني هاشم أنقذوا أنفسكم
من النار فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً ، و يا بني عبد المطلب
أنقذوا أنفسكم من النار ، فإني لا أغني عنكم من الله شيئاً ، و يا
فاطمة أنقذي نفسك من النار ، سليني ما شئت من مالي فإني لا أغني
عنك من الله شيئاً .

(١) سورة الشعراء الآية ٢١٤ .

و من المشاهد المجرب أن الذين يتصلون بأحد الصالحين أو الشايخ بنسب يعتمدون على نصرته ، و قد يأمنون مكر الله ثقة بهذا النسب ، و تها و دلالا بهذه الزاني ، لذلك أمر الله ﷻ أن يحذر من يتصل به بنسب أو قرابة عن هذا الغرور ، و الاسترسال إلى الأمانى و الأحلام ، و قد فعل ذلك رسول الله ﷺ فعم و خص ، و لم يترك في هذا التحذير بنته التى هى بضعة منه ، و أحب الخلق إليه ، و قد أوضح ﷺ أن الانسان يوفى حق قريبه ، ويصله فيما يملكه فحكمهم فى ماله ، و خيرهم أن يسألوه ما شاؤا ، أما أمور الآخرة أو الحساب و الكتاب فانه لا يملك منها شيئا ، و لا يستطيع أن يدافع عن أحد ، أو يحتاج لأحد ، فيجب على كل واحد أن يعنى باصلاح شئونه ، ويسعى فى الخلاص من النار ، و قد دل هذا الحديث على أن القرابة أو النسب لا يغنيان عن الانسان شيئا ، و لا ينفعان عند الله .



الفصل الرابع

في رد الاشراك في العبادة (١)

الدعوة إلى التوحيد الخالص

ونبذ الشرك ، قديمة و متصلة :

قال الله تعالى : • و لقد أرسلنا نوحاً إلى قومه إنى لكم
تذير مبين أن لا تعبدوا إلا الله إنى أخاف عليكم عذاب يوم
عظيم (٢) • •

فقد دلت هذه الآية على أن الصراع بين المسلمين و الكفار
بدأ من عهد نوح عليه السلام فما زال الصادقون من عباد الله
يجهلون عن أن يعظم أحد من الخلق تعظيماً يليق بالله تعالى ، و عن
أن تصرف إليه أعمال تقصد منها غاية التعظيم ، والذل والتواضع ،
و هي مخصصة بالله تعالى ، و ظلت الحرب قائمة بين الفريقين على
قدم و ساق ، لم تضع أوزارها .

(١) العبادة تمنى الأمور التي خصها الله لتعظيمه ، و بينها للبشر ، حتى لا يشركوا
فيها غير الله (المؤلف) .

(٢) سورة هود ٢٥ - ٢٦ .

السجود بجميع أنواعه لا يجوز إلا لله تعالى :

وقال الله تعالى : « لا تسجدوا للشمس ولا للقمر ، واسجدوا لله الذى خلقهم إن كنتم إياه تعبدون (١) » .

فقد دلت هذه الآية على أن السجدة من أعظم شعائر العبادة ، وهى مختصة بالخالق جل وعلا ، فلا تجوز للمخلوق ، وقد تساوى فى هذه الصفة القمر و الشمس ، و النبي و الولي ، و من قال إنه قد جاز السجود فى الأديان القديمة لبعض المخلوقات ، و نقل ذلك بالخبر الصحيح ، فصح سجود الملائكة لآدم ، و سجود يعقوب ليوسف ، فلا بأس أن نسجد لشيخ أو ولي ، و هذا باطل (٢) ،

(١) سورة فصلت الآية ٣٧ .

(٢) و قد اتفق علماء الاسلام قديماً و حديثاً ، و كل من يحتاج بقوله و عمله من الفقهاء و العارفين بالله ، و المشايخ الداعين إلى الله ، على أن السجود — سواءً بسجود العبادة و سجود التحية و التعظيم — لا يجوز إلا لله تعالى ، هذا عدا الأحاديث الصحيحة التى بلغت حد الاستفاضة ، و قد صرح فقهاء المذهب الحنفى ، و أئمتهم بحرمه بسجود التحية ، و أقر بعضهم بكفر من يفعل ذلك ، و قد قال شمس الأئمة السرخسى فى المبسوط : « من سجد لغير الله تعالى على وجه التعظيم كفر » وقال العلامة ابن عابدين —

فقد جازت أشياء في الأديان السابقة ، و حرمت في ديننا ، و قد أبيع النكاح بالآخوات الشقيقات في عهد آدم ، فهل يبيع هؤلاء

— في رد المحتار ج ٥ ص ١٧٨ : « يكفر بالسجدة مطلقاً ، وقال العلامة ابن حجر في « الاعلام بقواطع الاسلام » : « ما يفعله كثيرون من الجهلة الظالمين من السجود بين يدي المشايخ ، فان ذلك حرام قطعاً بكل حال ، سواء كان للقبلة أو لغيرها ، و سواء قصد السجود لله تعالى ، أو غفل » و قد جمع الشيخ أحمد رضا خان البريلوي م سنة ١٣٤٠ هـ ، مائة و خمسين نصاً فقهاً في حرمة سجود التحية في رسالة « الزبدة الزكية » ، فليراجع .

وقال الامام الشيخ أحمد بن عبدالأحد السرهندي م ١٠٣٤ هـ في رسالة له ، كتبها إلى أحد أصحابه ، و قد بلغه أن بعض أصحابه يسجدون له بحجة التحية ، فلا يشدد في منعهم عن ذلك ، قال رحمه الله : « يا أخى إن السجود الذى هو عبادة عن وضع الجبهة على الأرض يدل على غاية الذل والافتقار ، وكال العجز والتواضع ، لذلك خصص هذا النوع من التذلل و التواضع بعبادة الله تعالى ، و لم يؤذن به لغير الله (رسالة عدد ٢٩٢ إلى السيد محمد نعمان من ضمن رسائل الامام الشيخ أحمد السرهندي) .

المحتجون بهذه الدلائل أن يتزوج الاخوة اخواتهم ؟

و الاصل أن العبد مكلف بامتثال أمر ربه ، فعليه أن يمثل أمره عن رضا و طوعية نفس ، لا يجهد في نفسه حرجاً مما أمر به ، و لا يحتاج و لا يتشبث بأمور الاولين و أخبارهم ، و بأن هذا الامر بدع لم يسبق له نظير ، أو معارض للشرائع القديمة ، لأن هذا يؤدي إلى الكفر ، ومثل ذلك أن ملكاً أصدر مرسوماً في مملكته ، و بقي هذا المرسوم مدة ، ثم نسخ ، وأبدل بمرسوم آخر ، فمن قال إنى سأظل متمسكاً بالمرسوم الأول ، و لا أقبل المرسوم الجديد ، اعتبر خارجاً على الملك محارباً له .

ضلال الناس في من يعتقدون فيهم الصلاح والفضل :

و قال الله تعالى : « و أن المساجد لله فلا تدعوا مع الله أحداً » و أنه لما قام عد الله يدعوه كادوا يكونون عليه لبدأ * قل إنما أدعو ربي و لا أشرك به أحداً * (١) .

و العادة أن الانسان إذا أخلص في الدعاء و النداء ، و صبح ما بينه و بين الله ، اعتقد الناس أنه قد بلغ في الولاية والروحانية منزلة يقدر فيها على أن يعطى من شاء ما شاء ، وينزع من شاء ما شاء ، فيتهافون عليه تهافت الفراش على النور ، و يكادون

(١) سورة الجن ١٨ - ١٩ - ٢٠ .

يكونون عليه لبدأ ، فينبغي لهذا العبد الصالح أن يبين الحقيقة ، ويميز الحق من الباطل ، فينبى عن دعا غير الله ، و ينقى عن الخلق القدرة على النفع و الضرر ، و يوضح أن من دعا غير الله ، ورجا منه النفع و الضرر فقد أشرك ، و يعلن أنه يرى من هذا الشرك ، غير راض عن هذا العمل .

وقد دلت هذه الآية على أن المثل بقاية الأدب والتواضع - كما كان الشأن في مجالس ملوك فارس ، وكما هو الشأن في معابد الوثنيين عند الأصنام والمياكل ، و السدنة و الكهان - أمام شيخ صالح ، أو عظيم المنزلة في الروحانية و الربانية ، كآته في الصلاة ، و نداءه من قريب و بعيد ، و اللهم باسمه باستمرار ، كآته اسم من أسماء الله الحسنى ، من الأعمال التى خصها الله لتعظيمه ، و من أشرك فيها غيره ، فقد أشرك بالله .

المناسك و مظاهر التعظيم الأقصى وشعائر
الحب و التفانى ، خاصة بالبيت و الحرم :

و قال الله تعالى : • و أذن فى الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكروا اسم الله فى أيام معلومات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها ، و أطعموا البائس الفقير ، ثم ليقتضوا تقىهم ، و ليوفوا

نذورهم ، و يطوفوا بالبيت العتيق (١) .

ومعنى ذلك أن الله سبحانه وتعالى قد خصص أمكنة لتعظيمه ، كالسكبة ، و عرفات ، و المزدلفة ، و منى ، و الصفا و المروة ، و مقام إبراهيم ، و المسجد الحرام كله ، و مكة كلها ، و الحرم كله ، وألهم الناس شوقاً لزيارتها ، و الحنان إليها ، فيتوجهون إلى هذه الأمكنة رجالاً و ركباناً ، ويأتون إليها من كل واد عميق ، و مربى صحيق ، و يتجشمون في سبلهم مشاق السفر ، و عناء التنقل ، يصلون إليها غبراً شعثاً ، متبذلين في الثياب ، زاهدين في الشارات و المظاهر ، فيذبجون هنالك الأنعام لله تعالى ، و يوفون نذورهم ، و يطوفون بالبيت ، و يقضون لباتهم من تعظيم الله تعالى ، الذى غمر نفوسهم و قلوبهم ، و يرضون هنالك عاطفة الحب و الحنان ، التى ملكتهم .

ويذهبون فى ذلك مذاهب شتى ، و يتفننون فيه ، فمنهم من يستلم عتبة البيت و يقبلها ، و منهم من يقف داعياً أمام الباب ، و منهم يتضرع متشبهاً بكسوة السكبة ، و منهم من يعتكف عنده ، فيصل يياض النهار بسواد الليل عاكفاً على عبادة الله ، منصرفاً إلى ذكره ، فمنهم من شخص بصره إلى البيت ، فهو يتمتع بجماله ، إلى

(١) سورة الحج ٢٧ - ٢٨ - ٢٩ .

غير ذلك من مظاهر التعظيم ، و شعائر الحب و التفانى ، و الله
يرتضيها و يثيبهم عليها في الدين و الدنيا ، فلا تجوز هذه الأعمال
و المختصة بهذه الأمكنة ، لتعظيم شئ آخر ، شخصاً كان أو قبراً ،
و مكان عبادة لرجل صالح ، أو نصباً لضم .

الحج و أعماله لا تجوز إلا للبيت :

ومن الشرك أن يقصد الانسان هذه الأمكنة من أنحاء بعيدة،
و يشد إليها الرحال ، و يتجشم في سبيلها المشاق ، و المضاعب ،
يصل إليها متبذلاً متوسخاً أغبر أشعث ، و يذبح هنالك الانعام ،
و يوفى الذنور ، أو يطوف حول قبر أوييت ، و يتسأدب مع
الغابة التي تحيط بهذا المكان ، ولا يصطاد هناك صيداً ، ولا يعصد
شجرة ، و لا يقطع عشباً ، و يرجو من ذلك الثواب و النفع
في الدنيا و الآخرة (١) ، لأن هذه الأعمال كلها مختصة بالخالق
جل و علا .

(١) كما يفعله كثير من الغلاة و الجهلة حين يشدون الرحال
إلى المشاهد و ضرائح الأولياء في الهند و إيران ، و لهم
في ذلك آداب و التزامات و أحكام تضاهي آداب الحج
و التزاماته و أحكامه و قد تفوقها في الدقة و الاحتياط
و الخشوع .

تخصيص الحيوانات للصلحين ، والتقرب
باحترامها ونذرها وذبحها إليهم ، حرام :

قال الله تعالى : « أو فسقاً أهل لغير الله به (١) » .

و المراد به دابة أو حيوان خصص لغير الله ، فلا يمس
بسوء ، ويعيش مدالاً محترماً ، وإذا ذبح ذبح إرضاءً لمن خصص
به ، و تقرباً إليه (٢) ، فإنه حرام ونجس ، كالخنزير ، والدم ،

(١) سورة الأنعام الآية ١٤٥ .

(٢) قد شدد فقهاء المذاهب التي عليها الاعتماد ، وعلماء الإسلام

الذين يحتاج بقولهم ، على حرمة هذا الفعل ، و ألحق كثير
منهم هذه الحيوانات بالئمة ، و غير المذكي ، راجع تفسير
آية : « وما أهل به لغير الله » في كتب التفسير ، وأحكام
القرآن ، وراجع كتب الفقه في المذاهب الأربعة وغيرها ،
وقد أفاض في تحقيقه الشيخ عبدالعزيز بن ولي الله الدهلوي
في تفسير فتح العزيز و أجاد ، فليراجع :

و قد بالغ الفقهاء في المنع عن الذبح لغير الله تعظيماً
وإجلالاً ، حتى حرموا ما يذبح لقدم أمير أو عظيم تقرباً
إليه وتعظيماً له ، جاء في الدر المختار ج ٥ ص ١٩٦ على
هامش رد المختار : (ذبح لقدم الأمير ونحوه) كواحد
من العظما (يحرم) لأنه أهل به لغير الله ، (ولو)
وصلية (ذكر اسم الله تعالى) ، انتهى .

و الميتة ، لا فرق بينها وبين هذا الحيوان ، و لم تقيده الآية بأن يذكر عليه اسم مخلوق عند الذبح (١) ، بل إنها اقتضت على أن كل حيوان نسب إلى مخلوق واشتهر به حرام ونجس ، كالبقرة المنسوبة إلى السيد أحمد الكبير (٢) ، أو التيس المنسوب للشيخ سدو (٣) ،

■ و على ذلك اتفق المشايخ المحققون ، والرايخون في العلم ،

يقول الامام أحمد بن عبدالأحد السمرهندي في رسالة كتبها

إلى امرأة صالحة من أتباعه : « اعتاد كثير من الجهال

أن يذروا حيوانات لمشايعهم ، و للصالحين ، والأولياء ،

و يسوقونها إلى قبورهم فيذبونها ، و قد عده الفقهاء فيما

تقل عنهم شركا ، و شددوا في ذلك ، و صرحوا بالتشيع

عليه ، و التحذير منه ، و قد عدوا ذبح هذه الحيوانات

من ضمن الذبائح التي كان يذبحها المشركون للجن طمعاً في

رضاهم ، و خوفاً من سخطهم ، (مكتوب رقم ٣٥/٤١ .

(١) راجع في فتح العزيز للامام عبد العزيز بن ولي الله الدهلوي

(ص ١٥٥ المطبعة المحمدية) تفسير قوله تعالى « وما أهل

به لغير الله » تجد بجناً وافياً في هذا الموضوع ، و نقولا

عن أئمة المذاهب و كبار المفسرين .

(٢) يغلب على الظن أنه الامام السيد أحمد الرفاعي (م ٥٧٨هـ)

مؤسس الطريقة الرفاعية ،

(٣) شخصية خيالية لا وجود لها ، وغالب من يعتقد فيها ويذبح

لها لقضاء الحوائج ، و أداء النذور ، النساء (راجع معجم

نور اللغات ج ٣ ص ٦٢ ، و فرهنگ آصفيه ج ٣ ص ١٩٨ .

فكل حيوان دجاجة كانت أو بغيراً نسب إلى مخلوق « تقريباً إليه » ،
و اشتهر بهذه النسبة ، كان حراماً ونجساً ، سواء نسب إلى ولي
أونبي ، أو أب أو جد ، أو عفريت أو جنية ، ومن فعل ذلك ،
تحقق عليه الشرك .

شركاء متشاكسون ، وأسماء من غير مسميات :

قال الله تعالى : « يا صاحبي السجن أأرباب متفرقون خير
أم الله الواحد القهار » ما تعبدون من دونه إلا أسماءاً سميتها
أنتم وآبائكم ما أنزل الله بها من سلطان * إن الحكم إلا لله أمر
ألا تعبدوا إلا إياه ، ذلك الدين القيم و لكن أكثر الناس لا
يعلمون » (١) ، .

من المقرر أن العبد الذي كان فيه شركاء متشاكسون في نصب
وعذاب ، إن العبد هو الذي كان له سيد قاهر يتكفل بقضاء حاجاته ،
و إصلاح شئونه ،

و بهرف النظر عن ذلك ، فإنه لا وجود لهؤلاء السادة
الأرباب الذين يشركهم الجاهل في ملك الله و ملكوته ، إنما هم
من نسج الخيال ، فن الجاهل من يتخيل أن فلاناً بيده إنزال
الأمطار ، و إرسال السحاب ، و فلاناً بيده الإنبات و إخراج

(١) سورة يوسف الآيات ٣٩ - ٤٠ .

الحب ، و منهم من يرزق الأولاد ، و منهم من يمنح الصحة
و الشفاء ، ثم يخرقون لها أسماء ، فيسمون بعضها ببعض الأسماء
التي يخترعونها ، ثم يعكفون عليها عبادة ودعاء ، ونداء ، ثم يمضى
على ذلك زمان فينتشر في الناس ، ويتمسكون بهذه العقائد والعادات ،
و ما هي إلا تخيلات ، لا وجود لها في الخارج ، فليس لهذه
المسميات وجود في العالم (١) ، و إذا وجد أحد بهذا الاسم ،
فانه لا سلطان له في هذا الكون ، و مجارى الأمور ، و الذى
يملك أزمة الأمور ، هو الله وحده ، و ليس من أسمائه محمد أو

(١) اقترن الشرك و الوثنية بالزور و الاختلاق في أكثر
الأمم و الطوائف ، حتى كاتهما رضيعا لبان ، و خدنان
لا يفترقان ، و قد شاعت في كل بلاد ، تمسكت بالشرك ،
و انقطعت صلتها عن تعاليم الأنبياء و صحفهم ، مشاهد
و ضرائح منسوبة إلى شخصيات خيالية ، أو أسطورية لا
وجود لها البتة ، و قد كثر التزوير في قضية الأمكنة التي
تزار وتشد إليها الرحال ، والضرائح و المشاهد التي تقصد
من أنحاء بعيدة ، ولم يصح منها إلا القليل النادر ، وكان
من معجزات القرآن ، أنه قرن الشرك بالزور ، فقال :
« فاجتنبوا الرجس من الأوثان و اجتنبوا قول الزور » .
(سورة الحج الآية ٣٠)

على ، أما الذين سموا بهذه الأسماء ، فهم لا يملكون من هذا العالم شيئاً ، أما الذى ينادى بمحمد أو بعلى ، ثم يملك هذا العالم ، فلا وجود له البتة ، إنما هى أسماء سماها الجهال ، و آباؤهم ما أنزل الله بها من سلطان ، ومن عارض أمر الله بأمره رفض ولم تكن له قيمة ، و قد نهى الله عن الاسترسال إلى أمثال هذه الأوهام و الأحلام ، و إن لب الدين و جوهره هو أن يمثل العبد أوامر الله ، ويؤثرها على كل أمر ، و على كل ما شاع فى الناس من الأساطير و التقاليد ، و لكن أكثر الناس مع الأسف لا يسلكون هذا الطريق ، و يؤثرون تقاليد مشايخهم و أعرافهم على أمر الله تعالى .

و قد ظهر من هذه الآية أن التمسك بشرعة و منهاج ، و اللجوء إلى أمر يستند إليه ، هو من الأمور التى خصصها الله لتعظيمه ، فمن عامل مخلوقاً بذلك تحقق عليه الشرك ، و لا طريق للعباد للاهتمام إلى شريعة الله و أحكامه إلا إخبار الرسول ، فمن أثر كلام إمام أو مجتهد ، أو غوث أو قطب ، أو عالم أو شيخ ، أو أب أو جد ، أو ملك أو وزير ، أو قس أو سادن ، وطريقتهم على قول الرسول (١) ، و احتج بقول شيخ أو أستاذ معارضاً لآية

(١) لأن المقصود هو اتباع الله ورسوله ، والعلماء المجتهدون —

أو حديث ، أو اعتقد عن النبي ﷺ أنه هو الشارع الأصلي ،
و أنه كان يتكلم عن الهوى ، و ما توحى إليه نفسه ، فيفرض
ذلك على أمته ، فقد أشرك ، إن الحكم إلا لله ، و الرسول هو
الخبير الصادق ، فما وافق إخباره من كلام الناس ، قبل ، و ما
خالفه ، رد .

غاية التعظيم في تذلل و خشوع من حق الله تعالى :

أخرج الترمذى عن معاوية قال قال رسول الله ﷺ ، من
سره أن يتمثل له الرجال قياماً فليتبوأ مقعده من النار .
و هذا وعيد شديد لمن أحب أن يقف الناس أمامه واضعياً

— و أئمة المذاهب شراح لكلام الله و رسوله ، يشرحون
الغامض ، و يقربون البعيد ، و يميزون بين الصحيح
و الضعيف ، و الناسخ و المنسوخ ، و المجمل و المفصل
و يكفون من لم تتوفر عنده شروط الاجتهاد والترجيح ،
و صلاحية النقد والتقيق ، أو لمن بعد زمانه مؤنة البحث
و التحقيق ، فمن أخذ بقولهم أخذ به كقول شارح و معلم ،
و صاحب اختصاص في الفن ، و تكليف العامى بالاجتهاد
و التحقيق تكليف بما لا يطاق ، أما من آثر قول مجتهد
على النصوص الشرعية لمجرد هوى أو عصبية ، أو حمية
جاهلية ، كان تابعاً لهواه غير متبع سبيل المؤمنين .

أيمانهم على شمائلهم في غاية الأدب والتواضع ، كما تبين لا تتحرك
و لا تتكلم ، و لا تنظر يمينا و شمالا ، و قد أوعده الرسول
ﷺ بجهنم ، فانه أحب أن يعظمه الناس بما يعظمون به الله إذا
وقفوا للصلاة واضعى يماهم على يسراهم في أدب وخشوع ، فكانه
ادعى الألوهية و تشبه بالله ، و قد ظهر من هذا الحديث أن
المشول أمام عظيم أو كبير في أدب و تواضع لا يقصد به إلا
التعظيم من الأمور التي خصصها الله تعالى لتعظيمه .

أتعبدون ما تحتون ؟ :

أخرج الترمذى عن ثوبان قال ، قال رسول الله ﷺ :
« لا تقوم الساعة حتى تلحق قبائل من أمتى بالمشركين ، و حتى
تعبد قبائل من أمتى الأوثان » .

و يفهم من هذا الحديث أن الشرك نوعان ، النوع الأول
أن يجعل لأحد تماثال و يعبد ، و يقال له في اللغة العربية « صنم »
و النوع الثاني أن يخصص بيت أو شجرة ، أو حجر ، أو خشب ،
أو قرطاس ، و ينسب إلى أحد ثم يعبد ، ويحل ويعظم ، ويقال
له في العربية « وثن (١) » ، و يدخل فيه القبر ، و مكان جلس فيه

(١) لعل المؤلف رحمه الله بنى كلامه هذا على ما نقل عن بعض
أئمة اللغة ، أن الصنم ما كان على صورة خلقه البشر ،

أحد الصالحين ، و اعتكف للاربعين ، أو عكف على العبادة
والرياضة ، ويدخل فيه الاعد ، أو عود ينسب إلى أحد الصالحين
و الأولياء ، أو ضريح مصنوع من القرطاس منسوب إلى سيدنا
حسين بن علي (١) ، و العلم (٢) ، وشدة (٣) ، و منهدي (٤) ،

والوثن ما كان على غيرها ، نقله الزبيدي في تاج العروس
عن شرح الدلائل (ج ٨ ص ٣٧١) ، و يؤيده ما
قاله ابن منظور في لسان العرب (ج ١٥ ص ٢٤١)
نقلا عن عروة ، قال : ما اتخذوه من آلهة فكان غير
صورة فهو وثن ، فإذا كان له صورة فهو صنم ، وتفرقت
أقوال أئمة اللغة في تفسيرهما ، و الفرق بينهما ، فهم من
قال بالعكس ، و منهم من لم يفرق بينهما و أطلقهما على
المعنيين ، و يظهر من تتبع الآيات و الأحاديث ، وكلام
العرب ترجيح القول الأول ، و هو الذي اعتمد عليه
المؤلف ، و الله أعلم .

(١) و يسمى في الهند بـ « تعزیه » و يحمل على الاكتاف في
موكب ، و تشدد عليه الآيات المشجعية في تأيين الحسين
و رثائه ، و ما تحمله من ظلم و قسوة ، ثم يدفن في
عاشوراء .

(٢) يرفع الشيعة في الهند و العراق أعلاماً كثيرة في محرم ،
تشبهاً بالأعلام التي رفعها المقاتلون ، و أنصار سيدنا

الذى ينسب إلى الامام قاسم ، و الشيخ عبد القادر الكيلاني

— الحسين ، و أفراد أسرته في كربلاء في المعركة التي وقعت بينهم و بين جيش عبيد الله بن زياد .

(٣) يقال في أردو « شده » و « شدا » و هو علم يرفع و يطاف به في محرم مع الضرائح المصنوعة من القرطاس و أصله قبضة من فضة تشد بخشب ، و يلقون عليها قاشاً أحمر و أخضر ، و الكلمة من « شد يشد » أى ربط ، راجع نور اللغات ج ٣ ص ٤٣٠ ، و فرهنك آصفيه ج ٣ ص ١٧٠) .

(٤) بكسر الميم و إشتام النون و تسكين الهاء المهملة ، و كسر الدال ، يصنع الشيعة الامامية شيئاً مربعاً من القرطاس الملون و يشعلون في جوانبه الأربعة شموعاً ذات لون أحمر و أخضر و يسمونه « مينهدي » و « مينهدي » معناه بالأردية الحناء ، و يضعونه في البيت الذي يضعون فيه الضرائح القرطاسية (نور اللغات ج ٤ ص ٦٨٤) و « الامام قاسم » هو قاسم بن الحسن بن علي بن أبي طالب زوجه عمه الحسين بنته بكربلاء تحمياً لوصية أخيه الحسن ، و سببه عند الشيعة و مقلديهم أن قاسم بن الحسن قد قتل مع عمه شهيداً و هو في الرابعة عشرة من عمره ، و الحناء علامة للفرح و الزينة يتهاذى بها في الأعراس و تصنع بها العروس راحتها .

ومصطبة (١) (توضع عليها الضرائح القرطاسية المنسوبة إلى سيدنا الحسين) ، و مكان تهود الأساتذة و المشايخ الجلوس فيه للإفادة والارشاد ، فيعظمون كل ذلك ، ويقدمون إليه التذور ، والقرايين ، و يصنعون لبعض الشهداء طاقاً و علماً ، ومدفعاً ، و يقربون إليه الأنعام ، و يحلفون به ، و يدعون بعض البيوت بأسماء بعض الأمراض ، فيبت يشتهر باسم « الجدرى » ، و ينسجون بعض البيوت إلى بعض الالهات الهندية البرهمية (٢) ، فهذه كلها أو ثلثان .

و قد أخبر النبي ﷺ ، أن المسلمين الذين يصبحون فريسة الشرك والوثنية عند دنو الساعة ، وفي آخر الزمان ، يكون شركهم من نوع العكوف على أشياء تنسب إلى السابقين ، فيعتقدون في هذه الأشياء النفع و الضرر ، و يغفلون في تقديسها و تعظيمها ، خلافاً للمشركين من مشركى الهند و مشركى العرب ، فانهم عباد

(١) أى « دكة » ، و هو بناء يرتفع عن الأرض ، و يسطح أعلاه للجلوس .

(٢) وهنا ذكر المؤلف أسماء هذه الالهات الأسطورية الخرافية التى يعتقد البراهمة فى الهند و الوثنيون أن لها اتصالاً خاصاً ببعض الأمراض ، والأوباء ، فيطلب منها الشفاء ، و التوقى من هذه الأمراض ، و يحرص على إرضائها ، و التزلف إليها .

أصنام يعبدون التماثيل و يتمسكون بها ، وكلنا الطائفتين مشركة ،
قد أعرضت عن الله و عارضت الرسول ﷺ و تعاليمه .

الذبح تقرباً و تعظيماً من حق الله تعالى :

أخرج مسلم عن أبي الطفيل أن علياً رضى الله عنه أخرج
صحيفة فيها : « لعن الله من ذبح لغير الله » .

و قد دل هذا الحديث على أن الذبح لغير الله من الأعمال
التي خصصها الله لتعظيمه ، و من ذبح لغير الله (١) فقد أشرك .
عودة الجاهلية و عاداتها وعقائدها في آخر الزمان :

أخرج مسلم عن عائشة قالت سمعت رسول الله ﷺ يقول :
لا يذهب الليل والنهار ، حتى يعبد اللات والعزى ، فقلت يا رسول
الله إن كنت لأظن حين أنزل الله : « هو الذي أرسل رسوله
بالحدى ودين الحق ليظهره على الدين كله » ولو كره المشركون (٢) ،

(١) لا يدخل في ذلك كما يعرفه كل عاقل ، ما يذبح للضيافة ،
و إكرام الضيف ، و الولائم ، إنما يدخل في ذلك ما
يذبح للتقرب عن طريق الاعتقاد الدينى ، و جلب النفع
ودفع الضرر تبعداً و تقرباً ، و كتب الفقه مليئة بالنصوص ،
و الأحكام فى المنع عن الذبح لغير الله و تحريم أكل
لحمه كما مر سابقاً .

(٢) سورة التوبة الآية ٣٣ .

أن ذلك تام ، قال إنه سيكون من ذلك ما شاء الله ، ثم يبعث الله ريمًا طيبة ، فتوفى من كان في قلبه مثقال حبة من خردل من إيمان ، فيبقى من لا خير فيه فيرجعون إلى دين آبائهم .

و قد دل هذا الحديث على أن للشرك القديم ، و الوثنية البائدة عودة و انتشاراً في آخر الزمان ، و قد تحقق ما أخبر به الرسول ﷺ ، فقد بدأ الشرك القديم — الذى ظن كثير من الناس أنه قد انقرض — ينتشر بجوار ما يفعله المسلمون مع النبي ﷺ ، و الأولياء ، و الأئمة ، والشهداء من الأعمال الشركية ، فهم من يؤمن بتجائب الكفار فيقلدونهم في عاداتهم وتقاليدهم ، مثل السؤال من سدة الهياكل ، وبيوت الأصنام ، واللجوء إليهم في المضلات والمبهمات ، والايمان بالسعد والنحس ، وتأثير الآواء والنجوم ، والخضوع للآلهات (١) التى خصصت لبعض الأمراض ، والتقرب إليها بالتذوق ، و الاحتفال بأيام و مواسم جاهلية ، يحتفل بها الوثنيون في الهند ، و المجوس في إيران ، و اتخذها أعياداً ، وأيام فرح و سرور ، و أكل و شرب ، و إنارة بيوت و تزيينها ،

(١) هنا ذكر المؤلف أسماء الآلهات الهندية (الميثولوجية) التى يعتقد مشركو الهند فيها التصرف فى العالم ، و الصلة القوية ببعض الأمراض الفاشية .

مثل « ديوالى (١) » ، فى الهند و « النوروز » و « المهرجان » من أيام الفرس و المجوس ، و الاعتقاد فى القمر و العقرب تحت الشعاع ، و إن هذه كلها من عادات الهنداك و المجوس ، التى انتشرت فى المسلمين ، وقد تبين من ذلك أن الشرك يتسرب إلى المسلمين ، إذا هجروا القرآن و الحديث ، و تمسكوا بعادات الآباء و الأجداد ، و تقاليدهم .

فتنة الشيطان فى آخر الزمان :

أخرج مسلم عن عبد الله بن عمر قال قال رسول الله ﷺ يخرج الدجال فيبعث الله عيسى بن مريم فيطلبه فيهلكه ، ثم يرسل الله ريحاً باردة من قبل الشام ، ولا يبقى على وجه الأرض أحد

(١) يوم يذبح الهنداك فى الهند فيه يوتهم ، ويشعلون مصابيح وسرجاً ، ويلعبون بالألعاب النارية ، ويصنعون أنواعاً من الخلاوى ، و يتهادون بها ، ويتقربون بها إلى إلهة الثروة والسعادة ، التى يسمونها « اجهمى » ، و يلحق بذلك يوم الاحتفال بوفاء النيل ، وعيد شم النسيم فى مصر ، من أراد التفصيل فعليه بمراجعة كتاب « اقتضاء الصراط المستقيم مخالفة أصحاب الجحيم » لشيخ الاسلام ابن تيمية ، و كتاب الابداع فى مضار الابتداع ، للشيخ على محفوظ من علماء الأزهر .

في قلبه مثقال ذرة من إيمان إلا قبضته ، فيبقى شرار الناس في خفة الطير ، و أحلام السباع لا يعرفون معروفاً ، و لا ينكرون منكراً ، فيتمثل لهم الشيطان ، فيقول ألا تستحيون فيقولون ماذا تأمرنا ، فيأمرهم بعبادة الأوثان ، و هم في ذلك دار رزقهم ، حسن عيشهم .

وقد دل هذا الحديث على أنه ينقض الجليل المؤمن ، الراسخ في العلم ، ويخلفه السفهاء الذين طاشت أحلامهم ، وخضت أجسامهم ، و قويت ضراوتهم ، و أسفوا إلى مستوى الحيوانات ، و فقدوا صلاحية التمييز بين الخير والشر ، فلا هم لهم إلا ابتزاز الأموال ، و التهام الحرام ، فيأتهم الشيطان ، و يقول لهم إنه من العار أن يعيش الإنسان بلا دين وطريق ، فيقبلون على الدين ، و يبحثون عنه ، و لكنهم لا يصدرن عن كلام الله ورسوله ، بل يحكمون عقولهم (الحيوانية الضيائية) فيخترعون طرقاً في الدين ، و يتردون في مستنقع الشرك ، فيوسع لهم في الرزق ، و يطيب عيشهم ، فيزدادون بذلك إغلافاً في الشرك ، و بعداً عن الهدى ، اغتراراً بأنهم كلما ازدادوا هياماً بهذه الأنصاب و الأوثان ، ازدادوا سعة في الرزق ، و نجاحاً في المآرب .

فيجب أن يحذر الإنسان مكر الله ، لأن العبد قد يكون

مشركا ، طالبا من غير الله تحقيق أمانه ، و قضاء مآربه ، فيقضى
الله حاجاته ، و يعطيه سؤله امتحاناً و إمتحالا ، و يحسب أنه
يحسن صنعا ، فلا يثق الانسان بالتجاح و لا بالخيبة في الأمان
و الرغبات و لا يجعلهما ميزانا لخير أو شر ، و حق و باطل ،
و لا يترك دين الحق دين التوحيد ، لعدم تحقق بعض الرغبات
و الخيبة في بعض الآمال .

وقد دل الحديث على أن الانسان مهما غاص في المعاصي ،
و طرح الحشمة و الحياء ، و لم يقصر في أكل أموال الناس
بالباطل ، و لم يميز بين الخير و الشر ، كان أفضل من المشرك ،
و ممن يعبد غير الله ، لأن الشيطان يرضى بأن يقلع الانسان عن
هذه السيئات ، و يكف عن الذنوب ، و يتمسك بالشرك .

و أخرج الشيخان عن أبي هريرة قال قال رسول الله ﷺ لا
تقوم الساعة حتى تضطرب أليسات نساء دوس حول ذي
الخلصة (١) .

(١) و تمام الحديث ، و كان صنما تعبدها دوس في الجاهلية
بنبالة ، قال النووي في شرح هذا الحديث : أليسات بفتح
الهمزة و اللام ، معناه أعجازهن ، و المراد يضطربن من
الطواف حول ذي الخلصة ، أى يكفرون ويرجعون —

و قد دل هذا الحديث على حرمة الطواف حول كل بيت
إلا حول البيت العتيق ، الذى هو بيت الله ، وضع مباركا وهدى
للناس .

* * *

إلى عبادة الأصنام وتعظيمها ، و « تبالة » موضع باليمن ،
و ذو الخلصة بفتح الخاء و اللام بيت صنم ببلاد دوس .
انتهى مختصراً .

الفصل الخامس *

في

رد الاشراك في العادات

ولوع الفلسفات الوثنية ، والعقول الضعيفة
بالاناث وتقليد المسلمين للشركين في ذلك :

قال الله تبارك و تعالى : « إن يدعون من دونه إلا إنانا
و إن يدعون إلا شيطانا مريداً ، لعنه الله ، و قال لاتخذن من
عبادك نصيباً مفروضاً ، و لاضلنهم و لامنينهم و لأمرنهم فليبتكن
آذان الانعام و لأمرنهم فليغيرن خلق الله ، و من يتخذ الشيطان
ولياً من دون الله فقد خسر خسرانا مبيناً يعدهم و يمينهم ،
و ما يعدهم الشيطان إلا غروراً ، أولئك مأواهم جهنم و لا يجدون
عنها محيصاً (١) ، .

*) يستذكر في هذا الفصل الآيات و الاحاديث التي تدل على أنه لا يجوز للسلم
أن يعظم غير الله بما يعظم به الله ، في عاداته و أموره دنياه . (المؤلف)
(١) سورة الفساء الآيات ١١٧ إلى ١٢١ .

و مفهوم الآية أن المشركين قصارى جهدهم مراقبة الاناث ،
وصرف الهمة إليهن (١) بجميع القوى ، وتمثلن ، واللهج بأسمائهن
لجلب المنافع و دفع المضار ، فنهن من يختار اسم السيدة فاطمة ،
و منهم من يختار اسم آسية (٢) ، و منهم من تمسك بأسماء إناث
أخرى (٣) ، و جنيات ذات ألوان مختلفة ، وإلهات من إلهات

(١) و هذه الآية القرآنية من معجزات القرآن ، فان معظم
وثنية الامم المشركة كالاغريق و الهنود ، و أساطيرهم
الخرافية تدور حول الالهات ، وطبقة الاناث . و شغفهم
و هيامهم بهن ، و خضوعهم لهن ، قد بذ شغفهم بالآلهة
الذكور ، و باسمهن بنيت أكثر الهياكل ، و تنعت الفلسفة ،
و علم الالهيات بهن ، يصدق ذلك من قرأ تاريخ الفلسفة
اليونانية ، و الميثولوجية الهندية ، و صدق الله العظيم :
« إن يدعون من دونه إلا إناثا » .

(٢) المشهور أنها كانت امرأة فرعون التي وصفها القرآن بالايمن
و الاستقامة ، و لقيت الأذى في سبيل عقيدتها (راجع
تفسير ابن كثير سورة التحريم) .

(٣) ذكر المؤلف هنا أسماء هندية كثيرة لم نر لزوماً لذكرها ،
وقد شغلت في الميثولوجية الهندية مكاناً واسعاً ، وسيطرت
على عقول كثير من الناس في الهند .

الوثنيين تعزى إليهما قدرة و تصرف فى الكون ، وصلة خاصة ببعض الامراض و الأوباء ، و تأثير فى الوقاية عنها ، و ما هى إلا تخيلات و توهمات ، وليس هناك أثى و لا ذكر ، إنما هو تخليق فى عالم الخيال ، و تسويل من تسويلات الشيطان .

و هذا الذى قد يتسلط على الانسان ، و قد يأتى بعجائب و مخاريق ، ليس إلا شيطاناً ، و إليه تصل نذورهم و قرايدهم ، و هؤلاء يقدمونها إلى هذه الاناث المتخيلة ، و يتلقفها الشيطان فلا ينتفعون بها ، لأن الشيطان رجيم ، قد طرده الله و خذله ، فلا يستفاد منه فى الدنيا فضلاً عن الدين ، و متى تقع العدو عدوه ؟

تغيير خلق الله بأمر الشيطان :

و قد أعلن الشيطان أمام الله أنه لا بد أن يتخذ من عباده نصيباً مفروضاً ، و يضلهم و يمينهم ، و يأمرهم ، فيتكون آذان الأنعام تقرباً إليه ، و إشعاراً له ، و يأمرهم فيقتلدونها ، و يضعون لها علامات ، مثل صبغ وجوههن بالحناء ، و تقليدهن أقاليد الظهور ، كما يفعل بالعريس فى الهند (١) ، و يوضع النقد فى أفواههن ، و يدخل فى ذلك كل إشعار لحيوان تقرباً إلى إله أو إلهة ، و قد

(١) و هذه كلها عادات المشركين من المسلمين و غير المسلمين فى الهند ، مع الحيوانات و الأنعام .

وعدم الشيطان بأنه يأمرهم فيغيرون خلق الله الذى خلقهم عليه ،
فبعضهم يرسل ضفيرة باسم آلهتهم و معظمهم ، و منهم من يثقب
أنفه و أذنه إظهاراً للخضوع و الاستكانة ، و الرق و العبودية ،
و منهم من يخلق لحيته تجملاً و تزيئاً ، و منهم من يتظاهر بالفقر
بخلق الحاجبين ، و شعر اللحية و الرأس . وهذه كلها من وساوس
الشيطان ، و معارضة لله و لرسوله ، و من يتخذ الشيطان ولياً من
دون الله فقد خسر خسراناً ميبئاً ، فان الشيطان لا يملك إلا النزغة ،
و النفثة فى القلب ، و قد يعد و يمينى ، و يسترسل الانسان إلى
هذه الآمانى و الأحلام ، و يفرق فى التخیل ، و يبعد النجعة ،
و كله بناء منهار ، و قصة جمحاً (١) ، و بذلك يضل الانسان عن
طريق الهدى ، و يبعد عن الله ، و يجرى وراء الخلق ، فلا يتحقق
إلا ما قدره الله ، و جرى به قلم القضاء ، لا تنفع فيه هذه
الاعتقادات ، و كلها وساوس شيطانية ، لا يكاد الانسان يخرج
منها ، فيخسر دينه ، و يخلد فى النار .

(١) شخصية أسطورية يضرب بها المثل ، فى الاسترسال ؛ وإرخاء العنان فى التخیل
و التفتى ، و ما هو إلا كن يحاول القبض على الرياح ، أو يكتب على
سطح الماء .

جحد المشركين بنعمة الله ،
و تفنن في تعظيم غير الله و شكره :

و قال الله تعالى : « هو الذى خلقكم من نفس واحدة ،
و جعل منها زوجها ليسكن إليها ، فلما نفشاها حملت حملاً خفيفاً
فمرت به ، فلما أثقلت دعوا الله ربهما لئن آتيتنا صالحاً لنكونن من
الشاكرين . فلما آتاها صالحاً جعلاً له شركاء فيما آتاها فتعالى الله
عما يشركون ، (١) .

و قد دلت الآية على قلة وفاء الانسان و كنوده ، وكفره
بالنعمة ، فقد خلقه الله ، و رزقه زوجاً يأنس بها ، ويتعاون معها
على قضاء الحياة السعيدة الهنيئة ، و جعل بينهما مودة و رحمة ،
فلما قرب المخاض ، و بدت آثار الولادة دعوا الله ربهما لئن
آتيتنا صالحاً لنكونن من الشاكرين ، فلما رزقا الولد ، أقبلوا على غير
الله بالخضوع و النذر ، و تقديم القرابين ، فمنهم من يأخذ الولد
إلى قبر ، و منهم من يحمله إلى نصب ، و منهم من يرسل في رأسه
ضفيرة باسم أحد الصالحين ، أو الأولياء المقربين ، و منهم من
يقلده قلادة ، و منهم من يقيد رجله بقيد ، و منهم من يرسله عافياً
ليستجدى الناس و يكسب ، و لا يشتغل بشئ من أمور الدنيا ،

(١) سورة الاعراف الآيتان ١٨٩ ١٩٠

يقال هذا صعلوك فلان من الصالحين ، و منهم من يسمى ولده
نبي بخش « هبة نبي » أو بعلی بخش « عطاء علي » أو بير بخش
« رزق الشيخ » أو سیتلا بخش ، أى منحة سیتلا (١) ، و هى
الالهة التى يتقى بها من الجدرى (٢) ، أو بكنكا بخش ، هدية نهر الكنج

(١) اسم إلهة هندية يعتقد عبادها أنها تملك مرض الجدرى ،
فلا يصاب الانسان به إلا بارادتها ، ولا يشفى منه إلا
بأذنها ، وقد يطلق هذا اللفظ على مرض الجدرى أيضاً ،
(راجع معجم نور اللغات ج ٣ / ص ٤٠)

(٢) ويظهر أن اللجوء إلى غير الله من آلهة منحوتة ، وشخصيات
متخيلة فى تفريج الكرب والشفاء من الأمراض ، قد انتشر
قديماً فى الهند ، خصوصاً فى النساء الجاهلات من الأمة
الاسلامية ، فقد جاء فى رسالة للإمام أحمد بن عبد الواحد
السرهندي المتوفى ١٠٣٤ هـ . كتبها إلى امرأة صالحة من
أتباعه ما ترجمته : لقد أدى كثيراً من النساء إمعانهم فى
الجهالة إلى الاستعانة بالمنوعة فى الشريعة الاسلامية بغير
الله ، و دفع البلاء بأسماء مصطنعة ما أنزل الله بها من
سلطان فتورطن بذلك فى الشرك والعادات الشركية تورطاً
قديحاً ، و يظهر ذلك جلياً ، إذا انتشر مرض الجدرى
الذى تسميه النساء فى الهند « بسيتلا » فتقع الصالحات منهن ★

المقدس عند الهنادك ، و الله غنى عن عبادتهم و نذورهم ،
فلا يضرونه ، و لا يتقصون من ملكه شيئاً ، ولكن على أنفسهم
يجنون ، و يستحقون سخط الله و لعنته .

تطيف الكيل مع الله ، و إثارة عليه :

وقال الله تعالى : « وجعلوا لله مما ذرأ من الحرث والأنعام
نصيباً ، فقالوا هذا لله بزرعهم ، وهذا لشركائنا ، فما كان لشركائهم
فلا يصل إلى الله ، و ما كان لله فهو يصل إلى شركائهم ساء
ما يحكمون (١) » .

و هذا شأنهم في الزروع ، فهم يطففون الكيل مع الله ،
و يكفرون نعمة الله ، فهم أكثر أدباً ، و أشد دقة في استيفاء
ما قسموا لشركائهم ، فلا يتساهلون فيه ، و لا يسمحون بأن تعبت
به يد ، أو يعتدى عليه معتد ، أما ما كان لله فمعرض للخطر
و التلف ، و الزيادة و النقصان ، ينقص و لا يزداد ، و ما ضم

★ و الطالحات فريسة لهذا الجهل و الكفر ، ويندر وجود

امرأة سلبت من دقائق هذا الشرك ، وامتنعت عن التمسك
بتقليد من التقاليد الشائعة في هذا الآوان إلا من عصم ربك .

مكتوب رقم $\frac{٤١}{٣}$ رسائل الامام أحمد بن عبد الواحد السرهندي .

(١) سورة الانعام الآية ١٣٦ .

منه إلى قسط الشركاء فلا بأس به (١) .

شرع ما لم يشرع ،

و التزام ما لا يلزم :

وقال الله تعالى : « وقالوا هذه أنعام وحرث حجر لا يطعمها
إلا من نشأ بزعمهم ، وأنعام حرمت ظهورها ، وأنعام لا يذكرون
اسم الله عليها افتراءً عليه ، سيجزيهم بما كانوا يفترون » (٢) .

و المقصود أن الناس يشرعون شرائع ، ويلتزمون التزامات ،
ليس مصدرها وحى أو إلهام ، أو تشريع إلهي ، إنما هي مجرد
الآهواء والظنون ، فيقولون : الطعام الفلاني محظور مقدس يتناوله
فلان ، ولا يمسسه فلان ، و قد يسيرون أنعاماً ويحرمون ظهورها ،
فلا يركبها أحد ، و لا يحمل عليها حمل ، فأنها خصصت لفلان ،
وقصد بها التقرب إليه فيجب تعظيمها ، وأنعام لا يذكرون اسم الله

(١) وهذا شأن كل من كلف التقسيم أو الانصاف بين فريقين ،

فريق يتصل به بعاطفة وحب ، وخوف و رجا ، وفريق

كانت صلته به ضعيفة سطحية ، أو تقليديه قانونية ، لا يجد

في نفسه اندفاعاً أو حماساً للانصاف معه ، أو إيفائه حقه ،

فيخس نصيبه من حيث يشعر أو لا يشعر .

(٢) سورة الأنعام الآية ١٣٨ .

عليها ، و إنما ينوون بها التقرب إلى غير الله ، و الذبح باسمه ،
ثم يعتقدون أنهم بذلك ينالون رضا الله ، ويقضى الله بذلك حاجاتهم ،
و كله افتراء سيلقون جزاءه .

و قال الله تعالى : « ما جعل الله من بحيرة و لا سائبة
ولا وصيلة و لا حام (١) ، ولكن الذين كفروا يفترون على الله
الكذب ، و أكثرهم لا يعقلون (٢) » .

(١) و يفسر هذه الآية ما رواه البخارى فى صحيحه بسنده ،
عن سعيد بن المسيب قال : « البحيرة التى يمنع درها
للطواغيت ، فلا يحملها أحد من الناس ، و السائبة التى كانوا
يسيئون لها لأهلهم لا يحمل عليها شئ ، قال و قال أبو هريرة
قال رسول الله ﷺ رأيت عمرو بن عامر الخزاعى يجر
قصبه فى النار كان أول من سيب السوائب ، و الوصيلة
النافقة البكر تبكر فى أول نتاج الابل ، ثم تنى بعد بانئى ،
و كانوا يسيئون لها لطواغيتهم ، إن وصلت إحداها بالآخرى
ليس بينها ذكر ، و الحام ، فحل الابل يضرب الضراب
المعدود ، فإذا قضى ضرابه ، و دعوه للطواغيت ، و أعفوه
من الحمل فلم يحمل عليه شئ ، و سموه الحامى » .

(٢) سورة المائدة الآية ١٠٣ .

و قد ذكر الله أن شيئاً من ذلك لم يشرعه الله ، إنما هو اقتراء منهم ، و قد دلت الآية على أن تخصيص دابة باسم رجل ممن يعتقد فيهم « القدرة على النفع و الضرر ، و الحماية والنصر ، و إشعارها بذلك ، و تعيين أن لا يتقرب إلى فلان إلا بقرعة ، و لا إلى فلان إلا بشاة ، و لا إلى فلان إلا بدجاجة ، كلها تشريعات باطلة ، ما أنزل الله بها من سلطان ، و التزامات ليس مصدرها إلا السفاهة ، والهذيان ، ومعارضة أحكام الله وشريعته .

و قال الله تعالى : « ولا تقولوا لما تصف ألسنتكم الكذب هذا حلال وهذا حرام لتفتروا على الله الكذب إن الذين يفترون على الله الكذب لا يفلحون » (١) .

والمقصود النهي عن الاستبداد والافتيات في التحليل والتحريم ، و الإباحة و المنع ، اعتماداً على الأهواء و الأعراف ، والتقاليد ، و العادات ، فإن هذا من التشريع في الدين ، و التشريع من حق الله سبحانه وحده .

أما ما يعتقد به بعض الناس ، أن من فعل كذا تحققت مطالبه ، و إلا أصيب بالاختناق ، و تطرق إليه الفساد ، فهذا لا أصل له ، فإنه لا يفلح المفتري على الله .

(١) سورة النحل الآية ١١٦ .

ویدخل فی هذا التحذیر ما شاع فی الناس من النهی عن أكل التنبول ، و لبس الثوب الأحمر فی شهر محرم ، و خوفهم من ارتکاب هذین الأمرین ، و من تناول الرجال لطعام یطبخ للسيدة فاطمة ، و ما يلتزمه الناس من خضری فی تهيئة هذا الطعام ، و أن تجعلم النساء اللاتی یتناولن هذا الطعام بكذا و كذا من أسباب الزينة ، و لا تأكله جاریة ، و امرأة تزوجت بزواج ثان ، و لا تقربه امرأة من الطبقة الوضیعة على عرف أهل الهند ، و لا فاجرة ، و ما تعارفه الناس من تخصیص الخیص (١) ، بزاز الشیخ عبدالحق و ما یوصون به من الأخذ بالاحتیاط ، و التزام الأدب فی تهيئة ، و بمنع منه من یستعمل النارجيلة ، و ما خصص لشاه مدار ، و الشیخ أبی علی (٢) القلندر ، و لأصحاب الکهف من أطعمة ، لها أنواع خاصة ، و أوزان محدودة ، و ما اعتاده الناس ، و تمسکوا به من تقالید و عادات فی الأعراس ، و الزواج ، و على إثر

(١) الخیص : الحلواء المخبوصة ، وخبص الشئی بالشئی : خلطه .

(٢) هو شرف الدین أبو علی القلندر البانی بقی أحد الأولیاء المشهورین بأرض الهند ، أخذ الطریقة عن الشیخ شمس الدین التبریزی ، و كان فی الطریقة السهروردیة ، كانت وفاته سنة ٨٧٢٤ ، ودفن فی « بانی بت » .

موت رجل من الأقارب ، و في المآتم ، و ما يحرم من الزواج
 بعد موت رجل من الأقارب و العظام . ، و يمنع هؤلاء عن حضور
 هذه الأعراس ، و ما يكره من أعمال ، و صنع بعض الأطعمة ،
 و صنع بعض أنواع الكافخ و المخلات في البيوت ، و لبس ملابس
 من اللون الأزرق لبعض الناس ، و من اللون الأحمر لبعض الناس ،
 و بعض أنواع القماش لبعض الطبقات (١) ، فكل ذلك من اختراع
 الناس ، و تفننهم في الضلال ، و الحكم بغير ما أنزل الله ، و من
 أنواع الشرك و التدخل في ملكه و ملكوته ، و معارضة شرعه
 بشرع يشترعونه .

اعتقاد التأثير في الأنواء والكواكب

في العالم ، إشراك بالله :

أخرج الشيخان عن زيد بن خالد الجهني ، قال صلى بنا
 رسول الله ﷺ صلاة الصبح بالحديبية على إثر سماء كانت من الليل
 فلما انصرف أقبل على الناس ، فقال هل تدرون ماذا قال ربكم ،
 قالوا الله ورسوله أعلم ، قال قال : أصبح من عبادي مؤمن بي ،

(١) هي أعراف وعادات جاهلية تمررت إلى مسلمي الهند بحكم اختلاطهم لجيرانهم
 الوثنيين والبراهمة ، واشتد تمسكهم بها ، حتى كأنها نصوص قرآنية ، وأحكام
 شرعية ، بل هي أشد .

وكافر بي ، فأما من قال مطرنا بفضل الله و رحمته ، فذلك مؤمن
بي ، و كافر بالكواكب ، و أما من قال مطرنا بنوء كذا ، فذلك
كافر بي ، و مؤمن بالكواكب .

و مغزى الحديث أن من اعتقد للنجوم تأثيراً في العالم ،
و ما يحدث فيه من الحوادث ، كان عند الله بمن كفر به ، و عبد
النجوم ، و من عزا كل ما يحدث في العالم من خير و شر ، و من
حوادث و أمور إلى الله وحده كان عند الله من عباده المقبولين ،
الذين تبرأوا من عبادة النجوم والكواكب .

و قد دل الحديث على أن الإيمان بأن من الساعات ما تأتي
بالسعد و منها ما تأتي بالنحس ، و سؤال المنجمين عن ساعة سعد
ونحس ، والاعتماد الكلي على ما يخبرون به ، من الشرك ، فان لها صلة
بالنجوم ، والإيمان بالنجوم وتأثيرها من خصائص عباد الكواكب .
الاعتماد على العرافة و السكھانة ،
والمخبرين بالمغيبات كفر وجبت :

أخرج رزين عن ابن عباس قال قال رسول الله ﷺ : من
اقتبس باباً من علم النجوم بغير ما ذكر الله ، فقد اقتبس شعبة من
السحر ، المنجم كاهن ، و الكاهن ساحر ، و الساحر كافر .
و معلوم أن الله تبارك و تعالى قد ذكر النجوم والكواكب

في كلامه ، فانها آية من آيات الله ، و تنطق بقدرته وحكمته ، وقد زين الله بها السماوات الدنيا ، و هي رجوم للشياطين ، و لم يذكر أن لها دخلا في ملكوت السماوات و الأرض ، ولها صلة بسعادة البشر وشقاؤهم ، فمن عدل عما ذكره الله من فوائد لها إلى ما لم تخلق له هذه النجوم ، و يستدل بها على الغيب ، كما يفعل البراهمة من تلقف بعض الأخبار من الجن ، و إخبار الناس بها ، و يقال لها بالعربية الكهان ، فطريق المنجم و الكاهن سواء ، والكهان يتوددون إلى الجن ، كما يفعل السحرة بالايمان بهم و ندائهم ، و تقديم النذور و القرابين إليهم ، فهذا كله من الكفر .

أخرج مسلم عن حفصة زوج النبي ﷺ قالت : قال النبي ﷺ : من أتى عرافاً فسأله عن شيء لا يقبل صلاته أربعين يوماً .

وقد عرفنا من هذا الحديث أن من أتى العراف الذي يدعى الاخبار بالغيب ، لم تقبل عبادته أربعين يوماً ، لأنه قد أشرك ، والشرك يطمس نور العبادات كلها ، ويدخل في هذا الحكم المنجمون و الرمالون ، و المشتغلون بعلم الجفر ، و من يدعى الكشف المطلق . الذي لا يخطئ و لا يقع خلافه أبداً ، و من يدعى الاطلاع على الغيب ، و الاخبار به عن طريق الاستخارة بالقطع و البت .

مظاهر ضعف الاعتقاد والسخافة في أهل
الجاهلية ، و مقلديهم من المسلمين :

و يؤيد هذا الحديث أحاديث أخرى صحيحة ، منها ما أخرج
أبو داود ، عن قبيصة أن النبي ﷺ قال : العيافة ، و الطرق ،
و الطيرة ، من الجبت .

و ما أخرج أبو داود عن عبد الله بن مسعود عن رسول
الله ﷺ قال : الطيرة شرك ، الطيرة شرك ، الطيرة شرك .
و قد اعتاد العرب التطير ، و قد نهى رسول الله ﷺ عن
ذلك مرة بعد أخرى ليقطع الناس عن هذه العادة .

ومنها ما أخرج أبو داود عن سعد بن مالك أن رسول الله
ﷺ قال لا هامة و لا عدوى و لا طيرة ، و إن تكن الطيرة
في شئ ففي الدار ، و الفرس و المرأة (١) .

(١) و روى البخاري من حديث ابن عمر رضي الله عنه أن
رسول الله ﷺ قال : الشؤم في الدار و المرأة و الفرس ،
و تفسيره ما رواه الطبراني من حديث أسماء بنت عيسى
قالت : يا رسول الله ما شؤم الدار ؟ قال : ضيق صاحبها
و خبث جيرانها ، قيل : فاشؤم الدابة ؟ قال : منعها ظهرها و سوء
خلقها ، قال : فاشؤم المرأة ؟ قيل عقم رحمها و سوء خلقها .

و قد اشتهر في جهال العرب أن من قتل وأطال دمه ،
ولم يؤخذ بشأره ، خرج من هامته طائر ، يقال له الهامة ، وهي
كالبومة ، فما تزال تستغيث ، وتهم على وجهها ، حتى يؤخذ بشأره ،
و قد ذكر النبي ﷺ أنه باطل ، فمن زعم أن الانسان يتمثل بعد
موته بمحيوان ، فقد كذب على الله ، وكان من الاعتقادات الشائعة
في العرب أن بعض الأمراض ، كالجرب و الجذام ، تتمدى ،
وتنتقل من إنسان إلى آخر ، وهي كلها اعتقادات باطلة ، وشائعات
لا أصل لها .

وظهر من هذا ، أنه ما اعتاده الناس من الابتعاد عن ولد
يصاب بالجدرى ، ومنعهم الأولاد عن أن يقتربوه مخافة أن يصابوا
بهذا المرض قطعاً ، فهو من عادات الجاهلية كذلك (١) .

و قد اشتهر عندهم أن الأمر الفلاني لم يوافق فلاناً ، و أنه
لم يوفق فيه ، و لم يكن النجاح حليفه ، و إن كان لليمن والشوم
أصل ، فهما في الدار ، و الفرس ، و المرأة ، فقد تكون ميمونة
مباركة ، و قد تكون تعسة مشئومة ، و لكن لسان النوة لم يحدد
السبيل إلى معرفة ذلك ، حتى يحكم الانسان يمينها و شؤمها .

(١) هذا إذا كان الاعتقاد مبنياً على تأثير قوة لا تبصر ؛ أو على عقيدة دينية ،
أساسها التصرف ؛ أو القدرة على الإصابة .

و ما عينه الناس من أمارات لذلك مثل الدار التي يصور الناس على بابها ، و على ميزابها فم الأسد ، و مثل أن يكون على جبين الفرس مثل نجم ، و أن تكون المرأة سوداء اللسان ، فهي مشومة ، فلا أصل له ، بل يجب على المسلمين أن لا يحتفلوا بأمثال هذه الترهات ، و يجب عليهم إذا اشتروا بيتاً جديداً ، أو استأجروه أو ظفروا بحواد ، أو تزوجوا عقيلة أو جارية ، أن يدعوا الله أن يقدر فيها الخير ، و يبارك فيها ، و يتعوذوا بالله من شرها ، و شر ما جبلت عليه ، و لا يشغلوا نفوسهم بالحكم على أمور قد مضت ، فيقولوا وافقنا الأمر الفلاني ، و لم يوافقنا الأمر الفلاني .

أخرج البخاري عن أبي هريرة قال : قال رسول الله ﷺ لا عدوى (١) و لا هامة و لا صفر .

(١) وردت أحاديث بنى العدوى كاجاء في الحديث الذي رواه البخاري ، ووردت أحاديث في إثباتها ومنها « فرمن المجذوم فرارك من الأسد » وكثرت أقوال العلماء في ذلك والمرجح حمل الخطاب بالفي والاثبات على حالتين مختلفتين فحيث جاء « لا عدوى » كان المخاطب بذلك من قوى يقينه وصح توكله بحيث يستطع أن يدفع عن نفسه اعتقاد العدوى فلي هذا يجعل حديث جابر في الأكل مع المجذوم كما سيأتي في متن ★

و قد اشتهر في الجهال أن الذي أصيب بالتهامة فبأكل
 و لا يشبع ، و يسميه الأطباء بمجوع الكلب ، و العامة بمجوع البقر ،
 فقد دخل في بطنه عفريت أو شيطان يأكل كل ما يتناوله الانسان
 فلا يشبع ، و كانوا يسمونه بصفر (١) ، و هو الذي جاء نفيه في
 هذا الحديث .

★ الكتاب و سائر ما ورد من جنسه ، و حيث جاء ، فر
 من المجذوم ، كان المخاطب بذلك من ضعف يقينه فلا يكون
 له قوة على دفع اعتقاد العدوى فأريد بذلك من باب اعتقاد
 العدوى ، و قد فعل ﷺ كلا الأمرين ليتأسى به كل من
 الطائفتين ، وقال بعضهم إن المراد بالنفي أن شيئاً لا يعدي
 بطبعه نفياً لما كانت الجاهلية تعتقده بل باجراء الله تعالى
 العادة في النعدي ، انتهى مقتبساً من « لامع الدرارى على
 جامع البخارى » للحديث الكبير الشيخ محمد زكريا
 الكاندهلوى .

(١) قال القسطلانى في شرح البخارى : وهو فيما قيل دابة تهيج
 عند الجوع ، وربما قتلت صاحبها ، و كانوا يعتقدون أنها
 أعدى من الجرب ، و هذا ذكره مسلم عن جابر بن
 عبد الله في حديثه المروى عنده فنعين المصير إليه ، (ج ٨
 ص ٣١٨)

و معنى ذلك أن ما يعتقد الناس في بعض الأمراض أنها من تأثير الشياطين ، و العفاريت ، و أنها من تصرفاتهم ، باطل لا أصل له ، مثل ما ذكرنا عن مرض الجدري و غيره من الأمراض التي يربطها المشركون في الهدى ببعض الالامات ، والقوى المنصرفة في العالم .

و قد اشتهر في الجهال أن شهر صفر نحس ، يجب أن يكف الناس فيه عن أعمال ذات قيمة وخطر ، مثل الزواج ، والأسفار ، و التجارات ، و المعاملات (١) ، و يدخل في ذلك ما يعتقد جهال الهند أن الأيام الثلاثة عشر الأولى من شهر صفر مشومة نحسة بصفة خاصة ، ينزل فيها البلاء ، ويسمونها بـ « تيره تيزى » (٢) ، فتفسد الأعمال و تحبط المساعي ، و كذلك يخصصون بعض الأيام

(١) قال البيضاوى في شرح و لا صفر : هو نفي لما يتوهم أن

شهر صفر يكثر فيه الدواهي (شرح البخارى للقسطالانى

ج ٨ / ص ٣١٨) و فى « مجمع بحار الأنوار » للفتى :

و قيل هو الشهر المعروف ، زعموا أن فيه يكثر الدواهي

والفتن ، ففاه الشارع (مجمع بحار الأنوار ج ٢ / ص ٢٥١)

(٢) الأيام الثلاثة عشر الحادة ، و « تيز » معناه « الحاد الشديد »

من الشهر بالنحس ، فيتوقفون عن مباشرة بعض الأعمال المهمة فيها ، بل يجب أن يكون جل الاعتماد على الله تعالى ، و الايمان بأنه هو الضار النافع ، والمعطى المانع ، والمؤثر الحقيقى فى الاشياء .

و قد أخرج ابن ماجة عن جابر أن رسول الله ﷺ أخذ يد مجذوم فوضعها معه فى القصعة ، فقال : كل ثقة بالله و توكلأ عليه .

كل كلمة تدل على الجهل بالله و إساءة
الأدب معه لا يحل السكوت عليها :

أخرج أبو داؤد عن جبير بن مطعم قال أتى رسول الله ﷺ أعرابى فقال جهدت الانفس ، و جاع العيال ، و هلكت الأموال فاستسق الله لنا ، فانا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك ، فقال النبي ﷺ سبحان الله سبحان الله فما زال يسبح حتى عرف ذلك فى وجوه أصحابه ، ثم قال ويحك ، إنه لا يستشفع بالله على أحد ، شأن الله أعظم من ذلك ، و يحك أندرى ما الله ، إن عرشه على سماواته هكذا ، و قال بأصابعه مثل القبة عليه ، و إنه ليبط به أطيط الرجل بالراكب .

وقد علمنا من هذا الحديث شدة استنكار النبي ﷺ للأعرابى الذى قال إنا نستشفع بك على الله ، ونستشفع بالله عليك ، وكيف

فزح لذلك ، و استشعر الخشية و هبة الله ، و جعل يسبح الله ،
 و يكثر من التسبيح و التهزيه ، و تغيرت وجوه الناس من الهيبة
 و الدهشة ، و أوضح أن من يستشفع به على أحد يكون عادة
 أحط شأناً من الذى يشفع عنده ، و تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً ،
 فلا يستشفع به عند أحد ، و قد جرت العادة أن يستشفع عند
 من يملك الأمر ، ببعض خاصته ، و أهل المنزلة عنده ، فيحقق الرغبة
 و يعطى السؤل إرضاءً لهذا الشفع ، و تشريعاً لقدره ، والله هو
 الذى يملك زمام الأمور ، و غيره ضعيف عاجز ، مفتقر إلى الله ،
 فكيف يستشفع به على أحد من خلقه ، لجميع الأنبياء و الأولياء
 إذا قيسوا بعظمة الله و جبروته ، كانوا أقل من ذرة ، و إن
 العرش الذى أحاط بالسموات و الأرضين كالقبة ، ليضط به أطياف
 الرحل بالراكب ، فليس فى طاقة مخلوق أن يشرح عظمته أو أن
 يتخيلها ، فمن يجرو على أن يتدخل فى مملكته ، وينفذ فيها أمره ،
 إنه يفعل ما يشاء و يحكم ما يريد ، و لا يحتاج فى ذلك إلى وزير
 أو مشير ، يصرف أموراً لا بأتى عليها الاحصاء ، و لا يبلغها
 الاستقصاء ، فى أقل من طرفة عين ، فكيف يشفع عند غيره ،
 و من الذى يستبد بالأمور دونه ؟

يا للعجب إن محمداً ﷺ الذى شرفه الله على جميع خلقه

لا يكاد يسمع من أعرابي جلف كلمة تدل على جهله بالله ، وقصور عقله أن يملأه الخوف و المهابة ، فيفيض في بيان عظمة الله التي ملأت العالم من العرش إلى الفرش ، و ما بال أقوام طالت ألسنتهم ، وحملهم الطيش والجرامة ، فتشددوا بكلام تكاد السماوات ينفطرن منه ، و تنشق الأرض ، و تخر الجبال هدأ ، و بدأوا يتكلمون عن الله جلت عظمتة ، كأن بينه وبينهم دالة أو قرابة ، فقال بعضهم إلى اشتريت ربى بدائق ، ومنهم من يقول أنا أكبر من ربى بسنين ، ويقول الثالث إذا تجلى ربى في صورة غير صورة شيخى ، لم أرفع إليه بصرى ، و يقول شاعر : إني أحمل قلباً قد جرح بحب محمد ﷺ و عطفه ، فأنا منافس لله تعالى أغار منه على حبيبي ، و قال بعضهم قل عن الله ما شئت متفننا ، و اذهب في الجنون مذاهب ، و لكن إياك إياك أن تدخل في حمى محمد ، وأن تغلب فيه على أمرك (١) ، و يقول بعضهم إن الحقيقة المحمدية أفضل من الحقيقة الالهية ، أعاذنا الله عن أمثال هذه الشطحات ، و الاقتراءات ، و قد أحسن شاعر فارسى إذ قال : نسأل الله

(١) الأفاويل التي نقلها المؤلف ، مقتبسة عن كلام الغلاة في مدح الرسول ﷺ ، والتعبير عن عواطفهم ، وقد اشتهر بعضها كالأمثال السائرة في الأدب الهندي و الفارسى .

التوفيق للأدب ، فان قليل الأدب بعيد عن فضل الله .
وقد اعتاد بعض الناس إذا عرضت لهم حاجة ، أو ألت بهم ملة ، أن يقرأوا ورد « يا شيخ عبد القادر جيلاني شيئاً لله ، (١)

(١) ذهب أكثر فقهاء المذاهب و محققو الصوفية إلى عدم إباحة هذا الورد ، ولهم في ذلك مقالات وفتاوى ، تقتصر هنا على ما كتبه نثر المناخرين العلامة الشيخ عبد الحى بن عبد الحلیم اللكنوى (م ١٣٠٤ هـ) صاحب التصانيف الكثيرة الشهيرة ، جواباً على استفتاء ورده عن هذا الورد ، يقول رحمه الله .

« إن الاحتراز عن مثل هذا الورد لازم ، أولاً لأن هذا الورد متضمن كلمة « شيئاً لله » وقد حكم بعض الفقهاء بكفر من قاله ، وثانياً لأن هذا الورد يتضمن نداء الأموات من أمكنة بعيدة ، لم يثبت شرعاً أن الأولياء لهم قدرة على سماع النداء من أمكنة بعيدة ، إنما ثبت سماع الأموات لثحية من يزور قبورهم ، و من اعتقد أن غير الله سبحانه و تعالى حاضر و ناظر ، و عالم للخفي و الجلى في كل وقت و في كل آن ، فقد أشرك ، و سيدى الشيخ عبد القادر وإن كان من كبار أولياء الأمة المحمدية ، و مناقبه و فضائله قد جاوزت العد و الاحصاء ، إلا أنه لم يثبت أنه كان قادراً على سماع الاستغاثة والنداء من أمكنة بعيدة ، وعلى إغاثة »

في عدد مخصوص ، و مدة مخصوصة ، و دل هذا الحديث على كراهة هذا التعبير و شاعته ، فانه سؤال من الشيخ عبد القادر

♦♦ هؤلاء المستغِيثين ، و اعتقاد أنه رحمه الله كان يعلم أحوال مرِيدِهِ في كل وقت ، و يسمع ندامهم ، من عقائد الشرك ، و الله أعلم ، انتهى مختصراً .

(مجموع فتاوى العلامة عبد الحى اللىكنوى ج ١ / ص ٢٦٤)

و قد أباحه بعضهم بشروط و تأويلات و أن يكون المتمسك به يفقه ما يقول ويقصد به الاستفادة من روحانية الشيخ ، و معلوم أن الشريعة الإسلامية عنيت بسد الذرائع للفساد التي هي دون الشرك بكثير ، فكيف بفساد العقيدة ، و التورط في الشرك ، الذي ليست فوقه مفسدة ، وليت شعري ما ألجأ الناس إلى ذلك ، و الله أقرب من كل قريب ، و أرحم من كل رحيم ، وهو القائل :

« و إذا سألك عبادى عنى فأنى قريب ، أجيب دعوة الداع إذا دعان ،

و القائل : « أمن يجيب المضطر إذا دعاه ويكشف السوء ،

و قد جاء فى وصية الامام الشيخ عبد القادر الكيلانى

نفسه ، لابنه الشيخ عبد الوهاب « و كل الحوائج كلها » *

الجيلاني ، و توسل بالله تعالى إليه ، و العكس أصح ، فيجوز
التوسل بالشيخ (١) إلى الله ، لا التوسل بالله إليه .

❊ إلى الله عز و جل و اطلبها منه ، و لا تثق بأحد سوى
الله عز و جل ، و لا تعتمد إلا عليه سبحانه ، التوحيد ،
التوحيد ، التوحيد . (مجالس الفتح الرباني ص ٦٦٥)
وخطبه في فتوح الغيب وفي الفتح الرباني ، مليئة بهذه
الوصايا ، و الزجر و التوبيخ على الاستعانة بغير الله كما مر
بعض القول .

ويعجبني ماجاء في مجموعة مجالس العارف الكبير، والمربي
الجليل الشيخ عبد الله المشهور بعلام على النقشبندی القادري
الدهلوي ، و هو من أئمة القرن الثالث عشر الهجري في
تربية النفوس والدعوة إلى الله ، المتفق على ولايته وجلالاته
(١١٥٦ هـ - ١٢٤٠ هـ) كما روى عنه جامع هذه المجالس
الشيخ رؤوف أحمد المجددي أنه رحمه الله قال : « قلت
(يعني في بداية أمره) مرة « يا حضرة شيخ عبد القادر
جيلاني شيئاً لله ، فسمعت صوتاً غيبياً يطرق أذني بحيث
لا أشك فيه ، يقول : « قل : « يا أرحم الراحمين شيئاً لله ،
(در المعارف ص ٥٤)

(١) على رأى من يرى التوسل بالأنبياء و العالحين .

والحاصل أنه لا يجوز التلفظ بكلمة تشتم منها رائحة الشرك ،
أو إساءة مع الله فان الله هو المتعالى ، الغنى ، القادر ، انك الجبار ،
لا يبالى بأحد ، إذا شاء بطش على شئى دق و صغر ، و إذا شاء
عفا عن كبير و لو كان مثل جبل . و لا يصح أن يتكلم الانسان
بلفظ ظاهره إساءة الأدب . و باطنه الاجلال و التعظيم ، ويقول
المتكلم تكلمت بالكلمة الفلانية و إنما أقصد غيرها ، فان الألفاظ
و المعينات لها مجالات كثيرة ، وهى لا تليق بالله تعالى ، ولانعرف
عاقلاً يهزأ بملكه أو بأبيه ، و لا يستعمل معهما الصنائع البديعية ،
و الكنايات الأدبية ، التى اخترعها الأدباء ، بل يكون كلامه
واضحاً يصدر عن وعى ويدل على أدب ، إن مجال هذه الأساليب
الأدبية هى مجالس الاخوان و النوادى الأدبية .

الحث على إظهار شعار التوحيد فى الأسماء ،
و التحذير من الكلام الموهم :

أخرج مسلم عن ابن عمر رضى الله عنه قال : قال رسول
الله ﷺ : إن أحب أسمائكم عبد الله و عبد الرحمن .
و يدل هذا الحديث على أن أحب الأسماء إلى الله ما دللت
دلالة واضحة على عبودية العبد و ذله ، وعجزه أمام الله ، وما كانت
شعاراً وعلماً للتوحيد ، ومنها الأسماء التى ذكرت فى هذا الحديث

كنموذج ، و يدخل فيها أسماء أخرى كعبد القدوس ، و عبد
الجليل ، و عبد الخالق ، و هبة الله ، و عطاء الله ، و جاد المولى
و غيره (١) .

أخرج أبو داود و النسائي عن شريح بن هاني عن أبيه ،
أنه لما وفد إلى رسول الله ﷺ مع قومه سمعهم يكتنونه بأبي الحكم
فدعاه رسول الله ﷺ ، فقال إن الله هو الحكم وإليه الحكم ،
فلم تكفى أبا الحكم .

و قد دل هذا الحديث على أن الكلمة التي لا تليق إلا بالله
تعالى ، و الصفة التي هي خاصة به ، لا يجوز أن يوصف بها غيره
كـ ملك الملوك ، و ملك العالم ، و يفعل ما يشاء ،
و أحكم الحاكمين ، و الحكيم المطلق ، و أغنى الأغنياء ، (٢) .

(١) ذكر المؤلف هنا أسماء هندية ترجمتها بالعربية كما ذكرنا ،
والمقصود منها الأسماء التي أضيفت إلى الله خصوصاً الأسماء
الحسنى التي لا تطلق على غير الله .

(٢) و قد روى التاريخ من مباغة الشعراء و الندماء ، و أهل
الملق و النفاق في تليق ملوك عصرهم و أمرائه بألقاب
وإطرائهم لهم ، ما يجرمه الشرع ، و يعجبه الذوق السليم ،
و قد لقب هؤلاء الملوك أنفسهم في بعض الأحيان بألقاب

و يؤيده ما أخرج في شرح السنة عن حذيفة عن النبي ﷺ
قال لا تقولوا ما شاء الله ، وشاء محمد ، وقولوا ما شاء الله وحده .
فقد جاء فيه تحريم إشراك مخلوق في فعل يختص بالله تعالى ،
و وصفه بصفة لا تليق إلا بالله تعالى ، مهما بلغ هذا المخلوق من
جلالة الشأن و قرب المكان ، فيقول مثلاً ، ما شاء الله ، و شاء

♦ تدل على قلة علمهم وجراتهم على الله ، و غرورهم بأدراك
الزائل ، و السلطان الراحل ، و قد نقل التاريخ بيتاً لعضد
الدولة فناخسرو بن ركن الدولة بن بويه الديلمي المتوفى
٥٣٧٢ هـ ، هو خير مثال لهذا الطيش والوقاحة ، وهو قوله :
أنا عضد الدولة و ابن ركنها
ملك الأملاك غلاب القدر

وما أضنى الغلاة من المحبين والمعتقدين على مشايخهم ،
و على الأولياء و الصالحين من ألقاب و نعوت ، أدهى
و أمر .

و لم يزل العلماء الغيارى على الدين ، و أعلام هذه
الامة ينكرون على هؤلاء المبالغين المتملقين ، و عما يستطرف
في هذا الباب ، ما نقله المؤرخون عن سلطان العلماء شيخ
الاسلام عز الدين بن عبد السلام ، أنه لما توفي الخليفة
يغداد أيام الملك الصالح ، عمل الملك له عزاء ، جمع فيه —

رسوله ، لأن الله وحده هو يملك هذا العالم ويتصرف فيه بما شاء ، لا يشاركه في ذلك الرسول ، أو يسأل أحد رجلاً : أخبرني بما يهجن في ضمير فلان ، أو يدور بخلد ، ومتى يتم الأمر الفلاني ، وما عدد الأوراق التي تحملها هذه الشجرة ، وما هو عدد النجوم ؟ فيقول جواباً : الله ورسوله أعلم ، لأن الله وحده يعلم الغيب ، أما إذا سئل أحد عن شئ في الدين ، فلا بأس أن يقول : الله ورسوله أعلم ، أو يقول : إن الله ورسوله أمرا بكذا ، لأن الله قد أطلع رسوله على أمور الدين ، والله أمر عباده بطاعته .

— الأكاير و الأعيان ، و القراء و الشعراء ، فأنشد بعض الشعراء في مرثيته :

مات من كان بعض أجناده المو

ت و من كان يخشيه القضاء

فأنكر عليه الشيخ عز الدين بن عبد السلام رحمه الله تعالى ، و أمر بتأديبه و حبسه ، و أقام بعد التعزير في الحبس زمناً طويلاً ، ثم استتابه بعد شفاعة الأمراء والرؤساء فيه ، و أمره أن ينظم قصيدة يثنى فيها على الله تعالى كفارة لما تضمنه شعره من التعرض للقضاء .

(الابداع في مضار الابتداع للشيخ علي محفوظ ص ١٢٥)

الحلف بغير الله إشراك بالله :

أخرج الترمذى عن ابن عمر قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : من حلف بغير الله فقد أشرك .

و أخرج مسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال رسول الله ﷺ ، قال إن الله ينهاكم أن تحلفوا بآبائكم ، من كان حالفاً فليحلف بالله أو ليصمت .

أخرج الشيخان عن أبي هريرة عن النبي ﷺ ، قال من حلف فقال في حلفه باللات والعزى ، فليقل لا إله إلا الله .
و قد دلت هذه الأحاديث على أن الحلف بمن كان يحلف به المشركون في الجاهلية يضر بالإيمان والعقيدة ، فإذا صدر هذا من مسلم ، فليقل لا إله إلا الله .

لا يجوز النذر لغير الله والذبح في مكان كان فيه وثن ، أو عيد من أعياد الجاهلية :

أخرج أبو داود عن ثابت بن ضحاك ، قال نذر رجل على عهد رسول الله ﷺ أن ينحر إبلا ببوانة ، فأتى رسول الله ﷺ فأخبره ، فقال رسول الله ﷺ هل كان فيها وثن من أوثان الجاهلية يعبد ، قالوا : لا ، قال كان فيها عيد من أعيادهم ، قالوا : لا ، فقال رسول الله ﷺ أوف بنذكرك ، فإنه لا وفاء لنذر في معصية الله .

وقد دل هذا الحديث على تحريم النذر لغير الله ، فلا يحل هذا النذر ابتداءً ، فان أخطأ أحد لجهله للدين ، فلا وفاء عليه ، ولا يجوز التهادى فى خطأ ، أو الاحاح والتشبث بذنب ، بل هو ذنب أكبر ، وقد دل الحديث كذلك على أنه لا يجوز سوق دابة تذبح لله إلى مكان ، تقرب فيه القرابين لغير الله ، أو يعبد فيه غيره ، و يجتمع الناس هناك على شرك ، و إن صحت النية و صلحت العقيدة .

النهى عن الافراط و التفريط فى تعظيم النبي ﷺ :

أخرج أحمد عن عائشة رضى الله عنها أن رسول الله ﷺ كان فى نفر من المهاجرين و الأنصار ، فجاء بعير فسجد له ، فقال أصحابه : يا رسول الله ، يسجد لك البهائم ، والشجر ، فنحن أحق أن نسجد لك ، فقال اعبدوا ربكم و أكرموا أخاكم (١) .

ويفهم من هذا الحديث أن الناس إخوان ، فن فاق منهم فى فضل ، و علت منزلته ، و كبرت سنته ، كان بمنزلة الأخ الأكبر ، و استحق الأكرام الزائد ، و الله رب الجميع ، و هو

(١) قال العلامة على بن السلطان محمد الهروى المكي المعروف بالمللا على الفارارى فى مرقاة المفاتيح شرح مشكاة المصابيح فى شرح قوله ﷺ : « أكرموا أخاكم » : « أى عظموه تعظيماً يليق —

الذى يستحق العبادة .

— له بالمحبة القلبية ، والاكرام المشتغل على الاطاعة الظاهرية والباطنية وفيه ، إشارة إلى قوله « ما كان لبشر أن يؤتيه الله الكتاب والحكم والنبوة ، ثم يقول للناس كونوا عباداً لى من دون الله ، و لكن كونوا ربانيين ، و إيماناً إلى قوله « ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي و ربكم » .

و أما سجدة البعير فخرق للعادة واقع بتسخير الله تعالى وأمره ، فلا مدخل له ^{ملائكة} في فعله ، و البعير معذور ، حيث إنه من ربه مأثور ، كأمر الله ملائكته أن يسجدوا لآدم ، و الله سبحانه و تعالى أعلم ، و قال الطيبي رحمه الله : قاله تواضعاً وهضماً لنفسه ، يعنى أكرموا من هو بشر مثلكم ، و مفرع من صلب أيكم آدم ، و أكرموا لما أكرمه الله و اختاره ، و أوحى إليه كقوله تعالى : « قل إنما أنا بشر مثلكم يوحى إلى » .

(الجزء السادس ص ٢٧٧)

و قال الشيخ العلامة عبد الحق بن سيف الدين البخارى الدهلوى فى اللغات (حاشية المشكاة) : « يريد نفسه الكريمة تواضعاً وتنبيهاً على أنه بشر مثليهم ، فى عدم جواز السجدة و العبادة له » (ص ٢٨٣) .

و قد دل هذا الحديث على أن الأولياء والأنبياء ، والأئمة ،
وأبنائهم ، والمشايخ والشهداء كلهم بشر ، وكلهم عباد خاضعون ، وهم
لنا إخوان (١) ، ولكن الله فضلهم ، فهم بمنزلة الاخوة الكبار
الذين تقدموا في السن ، ونحن مأمورون بطاعتهم ، ونحن بالنسبة
إليهم صغار ، و يجب أن نعظمهم كبشر ، لا كآله .

و دل الحديث كذلك على أن بعض الأشجار ، و بعض
الحيوانات ، قد تحترم بعض الصالحين ، و هنا أمكنة تنسب إلى
بعض الصالحين ، ومقابر يأتي إليها بعض الأسود ، و منها ما يأتي
إليها بعض الأفيال ، و منها ما يأتي إليها بعض الذئاب (٢) ، ولكن
لا يطع الاحتجاج بها ، بل يجب على الانسان أن يعظم من
يستحق التعظيم بما أمر الله به ، وجاء به الشرع ، ولم يأمر الشرع
بالمكوف على قبر ، و سداته ، فان رضى أسد على قبر لا يتحول
عنه ، فلا يصح التمسك بذلك ، فانه لا يحسن بالانسان العاقل
(فضلا عن المسلم الواعي) أن يقلد الحيوانات .

أخرج أبوداؤد عن قيس بن سعد ، قال أتيت الحيرة ،

(١) في الأصل و الخلق قارب واحد و الأب واحد . كلهم من آدم و آدم
من تراب .

(٢) الحكمة و سر لا يمله إلا الله .

فرايتهم يسجدون لمرزبان لهم ، فقلت : لرسول الله ﷺ أحق أن يسجد له ، فأنت رسول الله ﷺ فقلت : إني رأيت الحيرة ، فرايتهم يسجدون لمرزبان لهم ، فأنت أحق أن تسجد لك ، فقال لي : أرايت لو مررت بقبري أكنت تسجد له ، فقلت لا ، فقال لا تفعلوا .

و قد نبه رسول الله ﷺ قيس بن سعد رضى الله عنه ، على أن من كان مآله الموت ، ومصيره إلى القبر ، يموت فيدفن ، لا يستحق السجدة ، إن السجود للحى الدائم الذى لا يموت ، وعرف من هذا أنه لا يجوز السجود لحى ولا ميت ، ولا لقبر ، ولا نصب ، فان كل نفس ذئمة الموت ، والحى لا يتجرد عن البشرية وخصائصها ، فكيف يصير إلهاً يسجد له إذا فارق الحياة فاعبد عبد حياً وميتاً .

التحذير عن الكلمات الموهمة للشرك :

أخرج مسلم عن أبي هريرة قال ، قال رسول الله ﷺ لا يقولن أحدكم عبدى و أمتى ، كلكم عبيد الله ، و كل نسائكم إماء الله ، و لا يقل العبد لسيد مولاى ، فان مولاكم الله .

و قد دل هذا الحديث على أنه لا يصح أن يخاطب السيد عبده ، فيقول يا عبدى ، و أن يضيف ذلك إلى نفسه ، و إن

كان في الحقيقة رقيقاً له ، أو أن يقول أحد : فلان عبد لفلان ،
 أو أن يقول العبد لسيدته : مولاي ، وهذا فيمن كانوا عبيداً وسادة ،
 فكيف بمن يدعى العبودية زوراً ، و يلقب نفسه بعبد النبي ، وعبد
 علي ، و عبد صاحب الجلالة ، و العبد الخاص ، و ما اعتاده
 الشعراء ، و الأدباء ، و الغلاة في الحب و الغرام و الاعتقاد ،
 من إطلاق كلمة عبد الغلام الأمد ، و عاني الحبيب ، و عابد
 الشيخ الجليل (١) ، و الافتخار بذلك ، أما السخاء بألقاب
 رب الأرباب (٢) ، و الجواد المطلق ، فلا محل له البتة ، ولا
 مبرر ، و هو غاية في إساءة الأدب مع الله ، و ما تعود به بعض
 الناس من أن يقولوا لبعض الناس : أنت تملك حياتي و مالي ،
 ونحن في تصرفك ، تفعل ما تشاء ، فهو كذب و مين ، و شرك .

النهى عن تقليد النصارى في
 إطرائهم لنبيهم ، و غلوهم فيه :

أخرج الشيخان عن عمر قال قال رسول الله ﷺ : لا
 تطروني كما أطرت النصارى عيسى بن مريم ، فأنما أنا عبده ،

(١) و هذه التعابير شائعة في الأدب الفارسي و الهندي ، مثل ، شاهد پرست ،
 و آشنا پرست ، و بير پرست ، و حسن پرست ، و كافر عشق ، و
 غير ذلك . انتهى .

(٢) (خداوند خدايگان) .

فقولوا عبد الله و رسوله .

ومقصود الحديث أن منصب الرسالة يتضمن جميع المحاسن ،
و الفضائل التي أكرمى الله بها ، فاذا أطلقت على هذه الصفة ،
و قيل : « رسول الله » ، فلا مزيد على ذلك ، فان الرسالة هي
الغاية القصوى التي يصل إليها بشر ، و كل ماعدا ذلك من المنازل
فهو دونها ، لذلك قال رسول الله ﷺ « فقولوا عبد الله
و رسوله » .

و لكن لا يعزبن عن البال أن البشر إذا أكرم بالرسالة ،
لا يتجرد عن البشرية ، و حسبه نفراً أن يكون عبداً لله تعالى ،
لا يتلبس بذلك بالالوهية ، و لا يذوب في ذات الله تعالى (١) ،
فلا يحل القول بذلك لعبد من عباد الله ، و كفر النصارى بهذا
الاعتقاد في المسيح عليه الصلاة والسلام ، و بعدوا عن الله تعالى ،
ولذلك نهى رسول الله ﷺ أمته عن تقليد النصارى في إطرائهم
لنبيهم و غلوهم فيه ، فاستحقوا غضب الله و لعنه .

ولكن الغلاة من هذه الأمة ، مع الأسف ، لم يمثلوا أمر
النبي ﷺ ، و حكوا النصارى في أقاويلهم ، وما زاد النصارى على

(١) كما يذوب الخل في الماء ، كما يعتقد بعض الفرق من النصارى .

أن قالوا: إن الله سبحانه وتعالى قد ظهر في صورة عيسى بن مريم وكسوته ، فهو بشر من جهة و إله من جهة أخرى ، و قد قال بعض غلاة المسلمين مثل ذلك عن رسول الله ﷺ ، وفتنوا فيه ، فقال بعضهم : لقد كان الله في ذهاب و إياب في كل قرن حتى ظهر في صورة عربي أخيراً ، و ملك العالم ، وقال بعضهم : إن القضاء قد أركب على ناقة واحدة ظئبتين ، إحداهما سلى الحدوث (١) ، وأخرهما إلى القدم (٢) ، و مالم يكتب قلم القضاء في لوح العالم الامكان والوجوب ، لم يتعين مورد للاطلاق المطلق .

و قد تطرف بعض من لا يخشون الله فنسبوا ذلك إلى النبي ﷺ فزعموا أنه قال : « أنا أحمد بلا ميم » و قد زوروا عبارة عربية طويلة جمعوا فيها خرافات كثيرة ، و سموها بخطبة الانتخار و عزوها إلى سيدنا علي بن أبي طالب رضى الله عنه ، سبحانهك هذا بهتان عظيم ، خذل الله الكذابين وفضحهم ، وكما أن النصارى يزعمون أن المسيح عليه السلام يملك الدنيا والآخرة ، فيدير الأمر كما يشاء ، فن آمن به ، وتضرع إليه لم يحتاج إلى شئ من العبودية و العبادة ، و ما ضره ذنب ، ولا فرق له بين حلال وحرام ،

(١) ينون بهذا الحدوث حدوث النبي صلى الله عليه وآله وسلم .

(٢) ينون بها الذات الالهية القديمة .

فيكون لله كسائبة حبلا على غارها ، و يخاضه عيسى بن مريم في
الآخرة بشفاعته عن النار وعن العذاب .

و مثل هذا يعتقد بعض الجبهة المسلمين في النبي ﷺ ،
وتنزلوا ، فاعتقدوا في أئمة أهل البيت ، وأرلياء الأمة ، بل وفي
المشايع مثل هذا الاعتقاد ، نسأل الله لنا ولهم الهداية .

أخرج أبو داؤد عن مطرف بن عبد الله بن الشخير ، قال ،
انطلقت في وفد بني عامر إلى رسول الله ﷺ قلنا : أنت سيدنا ، فقال
السيد الله ، قلنا : وأفضلنا فضلا ، وأعظمنا طولا ، فقال : قولوا
قواكم ، أو بعض قولكم فلا يجترئكم الشيطان .

و قد أمر النبي ﷺ في هذا الحديث بالاعتقاد والتوسط ،
وتحوى الدقة ، في مدح من يعتقد فيهم الفضل ، و أن لا يتخطى
في ذلك حدود البشرية فيلحقه بالله ، وأن لا يكون انادح كفرس
جرح لا يملكه فارس ، و لا يضبطه زمام ، فيسبى بذلك الأدب
مع الله و يتورط فيما لا يحمد عقاه .

و ليعلم أن « السيد » له معنيان ، فقد يراد به السيد الذي
يملك الأمر بالاطلاق ، و لا يخضع لأحد فيفعل ما يشاء شأن
الملوك في الدنيا ، وهذا يختص بالله تعالى ، فلا سيد بهذا المعنى إلا
الله ، و قد يراد به أحد أفراد الرعية يمتاز عن سائر الأفراد ،

بأن أمر الحاكم يتوجه إليه أولا ، ثم يبايع الآخريين عن طريقه ، كرئيس قبيلة ، أو عمدة قرية ، أو مرزبان ، و بهذا المعنى كل نبي سيد فى أمته ، و كل إمام مقدم على أتباعه ، و كل مجتهد قائد لمن يقتدى به ، و كل شيخ أو أستاذ له الرئاسة فى الأتباع والتلاميذ ، بأنهم يقومون بامتنال أوامر الله تعالى فى نفوسهم ، ثم يعلمونها من دونهم ، و هكذا ، فان نبينا ﷺ هو سيد العالمين ، ومنزله عند الله فوق كل منزلة ، و هو أشد الناس امتثالا لأوامر الله تعالى ، و الخالق كلهم عيال عليه ، فى الاهتداء إلى الله ، و معرفة أحكامه و مرضياته ، و بهذا المعنى يصح أن نسميه بسيد العالمين ، بل يجب هذا الاعتقاد ، أما بالمعنى الأول وهو السيطرة على العالم ، و التصرف بمطلق الإرادة ، كما يتصرف الملوك القاهرون ، فلا يصح ولا يجوز ، فانه لا يتصرف فى أضعف مخلوق تصرف السيد فى ملكه ، و الملك فى ملكه ، فضلا عن جسام الأمور ، و كبار المخلوقات .

النبى عن تعظيم صور الصالحين :

أخرج البخارى عن عائشة رضى الله عنها أنها اشترت تمرقة فيها تصاوير ، فلما رآها رسول الله ﷺ قام على الباب ولم يدخل ، فعرفت فى وجهه الكراهة ، قالت : قلت يا رسول الله ، أتوب

إلى الله ، وإلى رسوله ، ماذا أذنبت ، فقال رسول الله ﷺ : ما بال هذه الفرقة ، قالت ، قلت اشتريتها لك لتقعدها عليها و توسدها ، فقال رسول الله ﷺ إن أصحاب هذه الصور يعذبون يوم القيامة ، و يقال لهم ، أحيوا ما خلقتم ، وقال إن البيت الذي فيه الصور لا تدخله الملائكة .

وقد دل هذا الحديث على أن ما يفعله بعض الجاهل من تعظيم صور للأنبياء أو الأئمة ، أو الأولياء ، أو المشايخ ، و يحفظونها عندهم ليتبركوا بها ضلال محض ، و إغراق في الشرك ، و النبي و الملائكة منه براء .

بل يجب على المسلم أن يبعدها عن البيت ، و يعتقد نجاستها ، فينال بذلك رضا الرسول ﷺ و تدخل الملائكة هذا البيت ، و تحمل البركة بدخولها .

أخرج البيهقي عن عبد الله بن عباس قال سمعت رسول الله ﷺ يقول : أشد الناس عذاباً يوم القيامة من قتل نبياً ، أو قتله نبي ، أو قتل أحد والديه ، و المصورون ، و عالم لا يفتتح بقلبه ، و بذلك تعرف شناعة عمل التصوير ، فإن فاعله قد قرن في هذا الحديث بقاتل نبي ، فأذن هو أقبح و أشق من يزيد و شمر ،

الذين تولوا كبر قتل الحسين بن علي رضي الله عنهما ، و لم يكن
نياً من الانبياء ، إنما كان سبط الرسول ﷺ .

أخرج الشيخان عن أبي هريرة ، قال سمعت رسول الله
ﷺ يقول : قال الله تعالى : و من أظلم ممن ذهب بخلق كخلق .
فليخلقوا ذرة ، أو ليخلقوا حبة أو شعيرة .

تأذى النبي ﷺ بالغلو في شخصه ،
و الزيادة على ما وصفه الله به :

و أخرج رزين عن أنس قال قال رسول الله ﷺ : إني
لا أريد أن ترفعوني فوق المنزلة التي أنزلنيها الله تعالى ، أنا محمد بن
عبد الله و رسوله .

و معنى ذلك أن النبي ﷺ لا يسره أن يبالغ فيه الناس
و يطروه شأن الأمراء و الملوك الذين يحبون المبالغة و المآق ،
فإنهم لا شأن لهم بدين هؤلاء الندماء و الشعراء ، و اعتقادهم ،
فلا عليهم إذا فسدت عقيدتهم ، أو باؤوا بالاثم ، أما النبي ﷺ
فقد كان مرياً لطوفاً على أمته : عزيز عليه ما عثم حريص عليكم
بالمؤمنين ووقوف و حيم (١) ، و كانت حمايته مصروفة إلى إصلاح

(١) سورة التوبة ١٢٨ .

عقيدتهم و تقويم دينهم (١)

و قد جرت العادة أن المحبين يبالغون في مدح من يحبونهم ،
و يسرفون في ذلك لينالوا رضاهم ، و يدخلوا السرور عليهم ،
وقد عرف النبي ﷺ أن أمته من أشد الأمم حباً لنبينا ، و امتناناً
له ، و معرفة لفضله ، و قد خاف أن تبالغ أمته في مدحه بدافع
هذا الحب فتخطي الحدود و تسيئ الأذب مع الله أحياناً ، فيتلف
بذلك دينها و تهلك ، و تعادى النبي و تؤذيه ، لذلك صرح بأنه
لا يرضى بالمبالغة و الغلو ، و أن اسمه ما سماه به أهله ، و ناداه
به ربه ، ليست له من أسماء الله كالخالق و الرازق شئ ، و أنه
ولد كما يولد سائر الناس من أب و أم ، و حسبته نخراً أن يكون
عبداً لله ، ولكنه يمتاز عن سائر عباد الله بعلم أحكام الله و مرضاته ،
و الناس عنها في جهل و غفلة ، لاسيما لهم إليها إلا عن طريقه ،
فليرجعوا إليه و يلوذوا به في تعلم دين الله ، و في معرفة أحكامه
و شرائعه .

اللهم فصل و سلم ألف صلاة ، و ألف تسليم على هذا النبي
الرحيم الكريم ، فأجزه عنا على جهاده في تعليم الدين ، وإخراج

(١) قال الله تعالى : « لعلك باخع نفسك على آئامهم إن لم يؤمنوا بهذا الحديث
أسفا » (سورة الكهف) .

الناس من الظلمات إلى النور ، أفضل ما تجزى نبياً عن أمته ،
و كافته على ذلك أحسن مكافأة ، فأنت تقدر على ذلك ، و لا
تقدر ، و تعلم عظيم امتنانه و جسيم إحسانه على أمته ، و لا يبلغه
علينا ، و لا يستوفيه شكرنا .

و الحمد لله الذى هدانا لهذا و ما كنا لنهتدى لو لا أن
هدانا الله لقد جاءت رسل ربنا بالحق ، .



الفهرس

| الصفحة | الموضوع |
|--------|--|
| ٥ | كلية المترجم |
| ١٥ | ترجمة المؤلف |
| ١٧ | مصنفاته |
| | مقدمة الكتاب |
| ١٩ | خطبة الكتاب |
| ٢٠ | قوام العبودية تصحيح العقيدة و الايمان |
| ٢١ | تسويلات الشيطان في الصد عن القرآن |
| ٢٣ | أحوج الناس إلى الطيب ، المرضى |
| ٢٤ | للايمان جزوان |
| ٢٥ | من يصلح للاقتداء ؟ |
| ٢٥ | موضوع الكتاب و نظامه |
| ٢٥ | استفحال فتنة الشرك و الجاهالة في الناس |
| ٢٥ | مظاهر الشرك و أشكاله المتنوعة |
| ٢٨ | تقليد جهال المسلمين للشركين القدامى |
| ٣٢ | حقيقة شرك أهل الجاهلية و ضلالهم |

خلال الشرك و أعماله

٣٢

العلم المحيط الشامل من خصائص الله تعالى

٣٤

التصرف المطلق بالارادة ، والقدرة الكاملة من خصائص الله

٣٦

أعمال العبادة و شعائرها خاصة بالله تعالى

٣٧

علامات التعظيم الدال على العبودية والاستكانة، خاصة بالله تعالى

٤٠

الفصل الأول في التحذير عن الشرك

الفرق بين الشرك ، وسائر الذنوب

٤٥

الشرك الجلى ثورة و خروج ، يحرك الغيرة الالهية

٤٦

الشرك ظلم ، ووضع للشئى فى غير محله

٤٨

إن الله لا يقبل إلا خالصاً ، ليس لأحد فيه نصيب

٥٠

عهد سبق فى عالم الأرواح

٥١

الضن بعقيدة التوحيد ، والاستقامة عليها عند الفتنة والبلاء

٥٤

إقبال ملوك على غير ملكه، وولى نعمه، قلة غيرة وعدم وفاه

٥٥

المؤحد المذنب حرى بأن يتوب ، و تدركه

٥٧

رحمة الله و لطفه ، بخلاف المشرك العابد

الفصل الثانى فى رد الاشراك فى العلم

الجواس الخمس الظاهرة ، والعقل ، منحة إلهية عامة للبشر

٥٩

- ٦٠ علم الغيب خاص بالله تعالى ، و وراء طور البشر
من ادعى لنفسه ، أو اعتقد في أحد علم
٦١ الغيب بالاستقلال والدوام كان كاذباً دائماً
٦٢ الأمور المستقبلية التي لا تعلم بالقطع
٦٣ العلم بمكنونات الضمائر ، وهو اجس الخواطر ليس بميسور دائماً
٦٤ المدعون المحترفون بالاخبار عن الأمور الغيبية
،
٦٥ نداء الأموات من بعيد أو قريب للدعاء إشراك في العلم
٦٨ نفى القدرة المطلقة و الاستقلال بعلم الغيب عن النبي ﷺ
سر شرف الأنبياء ، وكرامة الأولياء ، ليس
في التصرف المطلق ، و العلم المستقل بالغيب
٦٩ استنكار النبي ﷺ لنسبة علم الغيب إليه ، حتى في الشعر
٧١

الفصل الثالث في رد الاشراك في التصرف

- إطباق أهل كل عصر على إثبات القدرة
المطلقة ، و القوة القاهرة لله تعالى
٧٢
٧٤ عقيدة أهل الجاهلية في الله ، و حقيقة شركهم
، تحذير المسلمين عن تقليد المشركين في نبهم وأولياء أمته
عجز الأنبياء و خواص الأمة عن التصرف في العالم
٧٥

- عادات الملوك و الأمراء في قبول الشفاعة ،
 ٧٦ و أنواع الشفعاء ، و أهل الوجاهة
 لا يقاس الله سبحانه و تعالى على ملوك الدنيا في
 ٧٧ قبول الشفاعات ، وإرضاء أهل الوجاهة و النفوذ
 ٧٨ أنواع الشفاعة التي لا مجال لها عند الله
 ٨٥ الشفاعة الثابتة في الاسلام
 لا داعى إلى الاعتصام بغير الله ، و طلب
 ٨٧ حمايته ، خلافاً للملوك و الأمراء
 الصالحون من عباد الله لا يملكون إلا الدعاء و السؤال من الله ٨٩
 المؤمن الموحّد رابط الجأش ناعم البال ،
 ٩٠ وضعيف العقيدة مشتت الفكر موزع النفس
 إن الله يرجع إليه في صغير و كبير ، و إنه ليس
 ٩٢ كملوك الدنيا في تدبير المملكة ، و الاستعانة بالحاشية
 تحذير النبي ﷺ لأهل قرابته من الاعتماد على
 ٩٣ نسب و قرابة ، و الاستغناء بهما عن العمل
الفصل الرابع في رد الاشراك في العبادة
 ٩٥ الدعوة إلى التوحيد الخالص ونبذ الشرك ، قديمة و متصلة
 ٩٦ السجود بجميع أنواعه لا يجوز إلا لله تعالى

- ٩٨ ضلال الناس في من يعتقدون فيهم الصلاح و الفضل
 المناسك و مظاهر التعظيم الأقصى و شعائر
 ٩٩ الحب و النفاق ، خاصة باليت و الحرم
 ١٠١ الحج و أعماله لا تجوز إلا لليت
 تخصيص الحيوانات للصالحين ، و التقرب
 ١٠٢ باحترامها و نذرهما و ذبحها إليهم ، حرام
 ١٠٤ شركاء متشاكسون ، و أسماء من غير مسميات
 ١٠٧ غاية التعظيم في تذلل و خشوع من حق الله تعالى
 ١٠٨ أتعبون ما تتحون ؟
 ١١٢ الذبح تقرباً و تعظيماً من حق الله تعالى :
 ١١٣ عودة الجاهلية و عاداتها و عقائدها في آخر الزمان :
 ١١٤ فتنة الشيطان في آخر الزمان

الفصل الخامس في رد الاشرار في العادات

- ولوع الفلاسقات الوثنية ، و العقول الضعيفة
 ١١٨ بالآثا و تقليد المسلمين للمشركين في ذلك
 ١٢٠ تغيير خلق الله بأمر الشيطان
 ١٢٢ جحد المشركين بنعمة الله ، و تفنن في تعظيم غير الله و شكره
 ١٢٤ تطفيف الكيل مع الله ، و إيثار عليه

| الموضوع | الصفحة |
|---|--------|
| شرع ما لم يشرع ، و التزام ما لا يلزم | ١٢٥ |
| اعتقاد التأثير في الأنواء والكواكب في العالم، إشراك بالله | ١٢٩ |
| الاعتماد على العرافة والكهانة، والمخبرين بالمغيبات كفر وجبت | ١٣٠ |
| مظاهر ضعف الاعتقاد و السخافة في | |
| أهل الجاهلية ، و مقلديهم من المسلمين | ١٣٢ |
| كل كلمة تدل على الجهل بالله و إساءة | |
| الأدب معه لا يحل السكوت عليها | ١٣٧ |
| الحث على إظهار شعار التوحيد في الأسماء ، | |
| و التحذير من الكلام الموهم | ١٤٣ |
| الحلف لغير الله إشراك بالله | ١٤٧ |
| لا يجوز النذر لغير الله و الذبح في مكان | |
| كان فيه وثن ، أو عيد من أعياد الجاهلية | • • |
| النهي عن الإفراط و التفريط في تعظيم النبي ﷺ | ١٤٨ |
| التحذير عن الكلمات الموهمة للشرك | ١٥١ |
| النهي عن تقليد النصارى في إطرائهم لنبينهم ، و غلوهم فيه | ١٥٢ |
| النهي عن تعظيم صور الصالحين | ١٥٦ |
| تأذى النبي ﷺ بالغلو في شخصه، والزيادة على ما وصفه الله به | ١٥٨ |